الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه وسلم. لما أعطاك الكشف أن محمداً صلى الله عليه وسلم متصور بتلك الصورة، فلا يجوز لك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ، حاشا لله وحاشا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم" أ.هـ

ثم يستطرد الجيلي حسب اعتقاده مبيناً كيف يكون محمد صلى الله عليه وسلم إنساناً كاملاً، وإلهاً تحققت فيه كل مظاهر الربوبية والألوهية وتجلت فيه كل أسماء الله وصفاته..

ولما كان الله عند الجيلي ومن على طريقته من هؤلاء الزنادقة الملحدين هو هذه المخلوقات لا غير.. استطرد الجيلي مبيناً أن الكون الوجود في كل شيء منه مقابل للذات المحمدية. ففي ذات الرسول شبيه العرش والكرسي، والسماوات والأرض والملائكة والحيوان والنبات والجماد.. وسائر الموجودات التي هي في حقيقتها عند الجيلي هي الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً..

يقول الجيلي شارحاً ذلك:

"واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه.

فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، فأول ما يبدو في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه، قال صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن من عرش الرحمن)، ويقابل الكرسي بآنيته، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه، ويقابل القلم الأعلى بعقله، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبعه، ويقابل الهيولي بقابليته، ويقابل الهباء بحيز هيكله، ويقابل الفلك الأطلس برأيه، ويقابل الفلك المكوكب بمدركته، ويقابل السماء الخامسة بهمته، ويقابل السماء الرابعة بفهمه، ويقابل السماء الثالثة بخياله، ويقابل السماء الثانية بفكره، ويقابل السماء الأولى بحافظته، ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة، ويقابل المشتري بالقوى الدافعة، ويقابل المريخ بالقوى المحركة، ويقابل الشمس بالقوى الناظرة، ويقابل الزهرة بالقوى المتلذذة، ويقابل عطارد بالقوى الشامة، ويقابل القمر بالقوى السامعة، ثم يقابل فلك النار بحرارته، ويقابل فلك الماء ببرودته، ويقابل فلك الهواء برطوبته، ويقابل فلك التراب بيبوسته، ثم يقابل الملائكة بخواطره، ويقابل الجن والشياطين بوسواسه، ويقابل البهائم بحيوانيته، ويقابل الأسد بالقوى الباطشة، ويقابل الثعلب بالقوى الماكرة، ويقابل الذئب بالقوى الخادعة، ويقابل القرد بالقوى الحاسدة، ويقابل الفأر بالقوى الحريصة، وقس على ذلك باقي قواه، ثم إنه يقابل النار بالمادة الصفراوية، ويقابل الماء بالمادة البلغمية، ويقابل الريح بالمادة الدموية، ويقابل التراب بالمادة السوداوية، ثم يقابل السبعة أبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه ودمعه وبوله والسامع المحيط، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد، منها تتفرع تلك الستة، ولكل واحد طعم، فحلو وحامض، ومر وممزوج، ومالح ونتن وطيب، ثم يقابل الجوهر بهويته وهي ذاته، ويقابل العرض بوصفه، ثم يقابل الجمادات بأنيابه، فإن

الناب إذا بلغ وأخذ حده في البلوغ بقي شبه الجمادات لا يزيد ولا ينقص وإذا كسرته لا يلتحم بشيء، ثم يقابل النبات بشعره وظفره، ويقابل الحيوان بشهوانيته، ويقابل مثله من الآدميين ببشريته وصورته، ثم يقابل أجناس الناس، فيقابل الملك بروحه، ويقابل الوزير بنظره الفكري، ويقابل القاضي بعلمه المسموع، ورأيه المطبوع، ويقابل الشرطي بظنه، ويقابل الأعوان بعروقه وقواه جميعها، ويقابل المؤمنين بيقينه، ويقابل المشركين بشكه وريبه، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه، فقد بينا فيما مضى من الأبواب خلق كل ملك مقرب من كل قوى من الإنسان الكامل، وبقي أن نتكلم عن مقابلة الأسماء والصفات.

اعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث قال: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) وفي حديث آخر (خلق الله آدم على صورته) وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم، وكذلك الإنسان حي عليم..الخ.

ثم يقابل الهوية بالهوية، والإنية بالإنية، والذات بالذات، والكل بالكل، والشمول بالشمول، والخصوص بالخصوص، وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية، وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب في غير ما موضع، وأما هنا فلا يجوز لنا أن نترجم عنها، فيكفي هذا القدر من التنبيه عليها.

ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضي الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه لا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل، وهذا معنى قوله تعالى {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً} يعني قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة، جهولاً بمقداره لأنه محل الأمانة الإلهية وهو لا يدري" أ.هـ (المصدر السابق ص76،77).

ادعاء رؤية العوالم العلوية والسفلية:

ولا يتوقف هذا الهذيان الذي يطالعنا به الجيلي في كتابه لحظة واحدة فهو يزعم أنه قد كشفت له الحجب فرأى العالم عاليه وسافله وشاهد الملائكة جميعاً وخاطبهم والرسل والأنبياء؛ فها هو يقول ويدعي: "وفي هذا المشهد (يعني بالمشهد اتصال الصوفي بأرواح المخلوقات التي وجدت في الحياة والتي لم توجد أيضاً لأن الأرواح في زعمه مخلوقة أبداً لا تفنى)، اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزبيد (زبيد: مدينة من مدن اليمن المشهورة) بشهر ربيع الأول في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين، والمقربين، وملائكة التسخير، ورأيت روحانية الموجودات جميعها، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد" (انظر) ويستطرد قائلاً "وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه" (ص97 ج2).

ويستطرد الجيلي في هذيانه وكفرياته قائلاً عن مشاهداته المزعومة في خلق السماء الثانية: "رأيت نوحاً عليه السلام في هذه السماء جالساً على سرير خلق

من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلمت عليه وتمثلت بين يديه فـرد علي السلام ورحب بي وقام".

إلى أن يقول: "وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكـة هـذه السـماء عجـائب من آيـات الـرحمن وغـرائب من أسـرار الأكـوان لا يسـعنا إذاعتهـا في أهـل هـذا الزمان" (ص100) أ.هـ.

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء الثالثة وأنـه رأى يوسـف عليه السلام وأنه دار بينهما هذا الحديث الـذي يـزعم الجيلي في آخـره أنـه كـان يعلم هذه العلوم الـتي أخـبره يوسـف بهـا قبـل أن يتفـوه بهـا يوسـف. ومـا هـذه العلوم.. إنها هذه الكفريات والهذيانات نفسها وهذا نص عبارته في ذلك:

"اجتمعت في هـذه السـماء مـع يوسـف عليـه السـلام، فرأيتـه على سـرير من الأسرار كاشفاً عن رمز الأنوار عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبار متحققاً بأمر المعاني، مجاوزاً عن قيد الماء والأواني فسلمت إلى تحية وافد إليه فأجـاب وحياً ثم رحب بي وبيا، فقلت له: سـيدي أسـألك عن قولـك {رب قـد آتيتـني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث} أي المملكتين تعني وعن تأويل أي الأحاديث تكنى فقـال: أردت المملكـة الرحمانيـة المودعـة في النكتـة الإنسـانية (يعـني أن يوسف عليه السلام أجابه بأن الله أطلعه عل وجود الرحمن في كيان الإنسـان) وتأويل الأحاديث: الأمانات الدائرة في الألسنة الحيوانية، فقلت له يا سيدي أليس هذا المودع في التلـويح حللاً من البيـان والتصـريح. فقـال: اعلم أن للحـق تعـالى أمانة في العباد يوصلها المتكلمون بها إلى أهل الرشاد، قلت: كيـف يكـون للحـق أمانة وهو أصل الوجود في الظهور والإبانة، فقال: ذلك وصـفه وهـذا شـأنه وذاك حكمه وهذه عبارته، والأمانة يجعلها الجاهل في اللسان ويحملها العالم في السـر والجنان، والكل في حيرة عنه، ولم يفز غير العـارف بشـيء منـه، فقلت: وكيـف ذلك. فقال: إعلم أيدك الله وحماك أن الحق تعالى جعل أسـراره كـدرر إشـارات مودعـة في أسـرار عبـارات (يعـني أن سـر الخلـق قـد صـحبه اللـه في أسـرار العبارات التي يوحيها إلي)، فهي ملقـاة في الطريـق دائـرة على ألسـن الفريـق، يجهـل العـام إشـارتها، ويعـرف الخـاص مـا سـكن عبارتهـا، فيؤولهـا على حسـب المقتضى ويؤول بها إلى حيث المرتضى، وهـل تأويـل الأحلام إلا رشـحة من هـذا البحر أو حصاة من جنادل هذا القفر فعلمت ما أشار إليه الصـديق ولم أكن قبلـه جاهلاً بهذا التحقيق، ثم تركتـه وانصـرفت في الرفيـق الأعلى ونعم الرفيـق" أ.هـ (ص101).

ثم يزعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكـثر الأنبيـاء في دائـرة هـذا الفلـك المكين مثـل عيسـى وسـليمان وداود وإدريس وجرجيس.. وغيرهم.. الخ.

أسمعتم يا مسلمون نبياً من أنبياء اللـه يسـمى جـرجيس،.. هـا هـو الجيلي اطلـع عليه في السماء وجاءكم باسمه كما جاءكم باسم ملك يسمى توحائيل.. أنظـرتم كيف يكون الكشف وعلم الغيب. هذه هي نماذجـه. وأمـا السـماء الخامسـة عنـد الجيلي فهي سماء الكوكب المسمى بهرام.. وحاكم هـذه السـماء عزرائيـل وهـو روحانيـة المـريخ صـاحب الانتقـام والتـوبيخ.. (هكـذا واللـه..) ويسـتطرد الجيلي فيصف السماء السادسة فهي عنده كوكب المشتري.. ويقول "رأيت فيها موسى عليه السلام متمكناً في هذا المقام واضعاً قدمه على هذه السـماء قابضـاً بيمينـه (يلاحظ في هذا التخليط والتقول على الله أن هؤلاء الكاذبين يعمدون إلى الوحي القرآني والحديثي فيأخذون منه ما يشاءون ويخلطونه بهـذه الأكـاذيب ويزعمـون

أن ذلك هـو الكشـف الـذي كشـف لهم فـذكر منصـبة موسـى على سـاق سـدرة المنتهى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أكون أول من يفيق فأجد موسـى باطشـاً بسـاق العـرش) سـاق سـدرة المنتهى سـكران من خمـر تجلي الربوبية.." أي موسى انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان وتجلت فيه ربوبيـة الملك الديان.. وأنه دار بينه وبين الجيلي هذا الحوار.. يقول الجيلي بالنص:

"فوقفت متأدباً بين يديه، وسلمت بتحقيق مرتبته عليـه، فرفـع رأسـه من سـكرة الأزل ورحب بي ثم أهل، فقلت له: يا سيدي قد أخـبر النـاطق بـالجواب الصـادق في الخطاب، أنه قد برزت لك خلعة لن تراني من ذلك الجناب، وحالتك هذه غـير حالة أهل الحجاب، فأخبرني بحقيقـة هـذا الأمـر العجـاب، فقـال: اعلم أنـني لمـا خرجت من مصر أرضي إلى حقيقة فرضي، ونوديت من طـور قلـبي بلسـان ربي من جانب شجرة الأحدية في الوادي المقدس بأنوار الأزلية {إنني أنـا اللـه لا إلـه إلا أنا فاعبدني} فلما عبدته كما أمر في الأشياء، وأثـنيت عليـه بمـا يسـتحقه من الصفات والأسماء تجلت أنوار الربوبية لي فأخذني عني، فطلبت البقاء في مقـام اللقاء، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم، فنادى لسـان سـري مترجمـاً عن ذلـك الأمـر العظيم، فقلت: {رب أرني أنظـر إليـك} فأدخـل بـانيتي في حضـرة القـدس عليـك فسـمعت الجـواب من ذلـك الجنـاب {لن تـراني ولكن انظـر إلى الجبل} وهي ذاتك المخلوقة من نوري في الأزل، {فـإن اسـتقر مكانـه} بعـد أن أظهر القديم سلطانه {فسوف تراني فلمـا تجلّى ربـه للجبـل} وجـذبتني حقيقـة الأزل وظهر القديم على المحدث {جعله دكاً وخـر موسـى صـعقاً} فلم يبـق في القـديم إلا القـديم، ولم يتجـل بالعظمـة إلا العظيم، هـذا على أن اسـتيفاؤه غـير ممكن وحصره غير جائز، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعلم كنهه ولا يـدري، فلمـا اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخـبركم بـه من أم الكتـاب (أي أن الجيلي اطلع على هـذه المكاشـفة من أم الكتـاب) فـترجم بـالحق والصـواب، ثم تركتـه وانصرفت وقد اغترفت من بحره ما اغترفت (ص104) أ.هـ.

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته في هذه السماء فيقـول: "ثم إني رأيت ملائكـة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضـيض الظلمـة إلى عـالم الأنـوار، ومنهم من خلقـه اللـه تعـالى على هيئـة الخيول المسومة، وعبادة هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سـجن الشـهادة إلى فضاء الغيوب، ومنهم من خلقه اللـه تعـالى على هيئـة النجـائب وفي صـورة الركائب، وعبادة هذا النوع رفع النفوس إلى عالم المعاني من عالم المحسـوس، ومنه من خلقه الله تعـالى على هيئـة البغـال والحمـير!! وعبـادة هـذا النـوع رفـع الحقير وجبر الكسير والعبور من القليل إلى الكثـير ومنهم من خلقـه اللـه تعـالى على صرة الإنسان وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأديان، ومنهم من خلق على صـفة بسائط الجواهر والأعراض وعبادة هـؤلاء إيصـال الصـحة إلى الأجسـام المـراض، ومنهم من خلـق على أنـواع الحبـوب والميـاه وسـائر المـأكولات والمشـروبات، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلى مرزوقها من سائر المخلوقات، ثم إني رأيت في هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط مزجاً، فالنصف من نـار والنصـف من ماء عقد ثلجاً، فلا الماء يفعل في إطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار" (ص105).

وأمـا السـماء السـابعة الـتي شـاهدها الجيلي وجـاء يقص علينـا مشـاهداته فهي السماء السابعة، وهي عنده زحل، ويحكى أنه شـاهد فيهـا إبـراهيم عليـه السـلام قائمـاً في هـذه السـماء ولـه منصـة يجلس عليهـا على يمين العـرش من فـوق

الكرسي وهو يتلو آية {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق..}.

ويستطرد الجيلي بعد ذلك تبجحاً أنه صعد إلى سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة، ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبدالله.. وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم -هكذا.. علماً بأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه {فسجد الملائكة كلهم أجمعون* إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين} (الحجر:30-31).

فأكد الله سبحانه سجود الملائكة بكل وجميع ولكن جاءنا الجيلي ليخبرنا بأن الملائكة هؤلاء الذين شاهدهم في السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم فاكتشف ما لم يعلمه الله ورسوله. وهذا نص عبارته في ذلك:

"ثم رأيت سبعة جملة هذه المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحداً مقدماً على جميعهم يسمى عبدالله، وكل هؤلاء عالون ممن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهم أيضاً عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (ليس في ملائكة الله عز وجل ملك يسمى عزرائيل ولم يثبت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف ولكنه اسم يجري على ألسنة العامة، ولكن هؤلاء الجهلة يلتقطون مثل هذه الأسماء ويجعلونها كشفاً وعلماً لدنياً وروحياً وإلهاماً لهم فانظر وتعجب..) وأمثالهم.

ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه" (ص107).

ولا يكتفي الجيلي ببيان كفرياته وهذيانه في السماء فينتقل إلى الأرض وهي عنده ليست أرضاً واحدة بل هو يزعم أنه شاهد سبعة أرضين وسبعة بحار ومحيطات وهاك بعضاً من هذا الهذيان الذي يزعم فيه الجيلي أنه رأى فيه الخضر وموسى، وأفلاطون وأرسطو والاسكندر، إلى هذيان وكفر لا يسع المؤمن عند سماعه وقراءته إلا أن يقول (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) وأن يقول أيضاً (الحمد لله الذي عافانا وما علينا ووقانا) وهاك أخي القارئ شيئاً من هذا الهذيان:

"إن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر الحوت في هذا البحر يسمى البهموت، وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله {وما تحت الثرى} ومجمع البحرين هذا هو الذي اجتمع فيه موسى عليه السلام بالخضر على شطه، لأن الله تعالى كان قد وعده بأن يجتمع بعبد من عباده على مجمع البحرين، فلما ذهب موسى وفتاه حاملاً لغذائه ووصلا إلى مجمع البحرين لم يعرفه موسى عليه السلام إلا بالحوت الذي نسيه الفتى على الصخرة وكان البحر مداً، فلما جزر بلغ الماء إلى الصخرة فصارت حقيقة الحياة في الحوت، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فعجب موسى من حياة حوت ميت قد طبخ على النار، وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون، وهو أكبر من موسى عليه السلام في السن سنة شمسية وقصتهما مشهورة، وقد فصلنا ذلك في رسالتنا الموسومة (بمسامرة الخليل ومسايرة الصحيب) فليتأمل فيه.

سافر الإسكندرية ليشرب من هذا الماء إعتماداً على كل كلام أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فإنه لا يموت، لأن أفلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق إلى يومنا هذا في جبل يسمى دواوند، وكان أرسطو تلميذ

أفلاطون وهو أستاذ الاسكندر صحب الاسكندر في مسـيره إلى مجمـع البحـرين، فلما وصل إلى أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام البـاقون في مدينة تسمى ثُبُتْ برفع الثـاء المثلثـة والبـاء الموحـدة وإسـكان التـاء المثنـاة من فوق وهو حد ما تطلع الشمس عليه، وكـان في جملـة من صـحب الاسـكندر من عسكر الخضر عليه السلام، فساروا مدة لا يعلمون عددها ولا يدركون أمدها وهم على ساحل البحر، وكلما نزلوا منزلاً شربوا من الماء، فلما ملوا من طول السفر أخذوا في الرجوع إلى حيث أقام العسكر، وقد كانوا مـروا بمجمـع البحـرين على طريقهم من غير أن يشعروا به، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة، وكان الخضر عليه السلام قـد ألهم بـأن أخـذ طـيراً فذبحـه وربطـه على سـاقه، فكـان يمشي ورجله في الماء، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيـه، فكتمـه عن الاسـكندر وكتم أمره إلى أن خرج، فلما نظر أرسطو إلى الخضر عليـه السـلام علم أنـه قـد فـاز من دونهم بذلك، فلزم خدمته إلى أن مـات واسـتفاد من الخضـر هـو والاسـكندر علوماً جمة" (ص117).

ويستطرد الجيلي شارحاً له عن طريق كشوفاته وهذيانه فيقول:

".. واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم، خلقه الله تعالى من حقيقته

{ونفخت فيه من روحي} فهو روح الله، فلهذا عـاش إلى يـوم القيامـة، اجتمعت به وسألته، ومنه أروي جميع ما في هذا البحر المحيط (جميـع الصـوفية يزعمـون أن كل ما ينقلونه من علومهم يسمعونه من الخضـر، وقـد زاد الجيلي أن الخضـر مخلوق من روح الله.. ولا يعلم هذا الجاهل أن آدم هو الذي أمـر اللـه جبريـل أن ينفخ فيه وجبريل هو روح الله وليس الخضر خلقاً خاصاً).

واعلم أن هذا البحر المحيط المذكور، ومـا كـان منـه منفصـلاً عن جبـل (ق) ممـا يلي الدنيا فهو مالح وهو البحر المـذكور، ومـا كـان منـه متصـلاً بالجبـل فهـو وراء المالح، فإنه البحـر الأحمـر الطيب الرائحـة ومـا كـان من وراء جبـل (ق) متصـلاً بالجبل الأسود فإنه البحر الأخضر، وهو من الطعم كالسم القاتل، ومن شرب منه قطرة هلك، وفـني لوقتـه، ومـا كـان منـه وراء الجبـل يحكم الانفصـال والحيطـة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الـذي لا يعلم لـه طعم ولا ريح ولا يبلغه أحد، بل وقع به الأخبار، فعلم وانقطع عن الآثار فكتم.

وأما البحر الأحمر الذي نشره كالمسـك الأذفـر فإنـه يعـرف بـالبحر الأسـمى ذي الموج الأنمى، رأيت على سـاحل هـذا البحـر رجـالاً مؤمـنين، ليس لهم عبـادة إلا تقريب الخلق إلى الحق، قد جبلوا على ذلـك، فمن عاشـرهم أو صـاحبهم عـرف الله بقدر معاشرتهم، وتقرب إلى الله بقدر مسايرتهم، وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامـع، يستضـيء بهم الحـائر في تيهـات القفـار، ويهتـدي بهم التائـه في غيابات البحار، إذا أرادوا السفر في هذا البحر نصبوا شركاً لحيتانه، فإذا اصطادوا ركبوا عليها لأن مراكب هذا البحر حيتانه، ومكتسبه لؤلـؤه ومرجانـه، ولكنهم عنـد أن يستووا على ظهر هذا الحوت ينتعشون بطيب رائحة البحـر فيغمى عليهم، فلا يفيقون إلى أنفسهم، ولا يرجعون إلى محسوسهم ما داموا راكبين في هذا البحر، فتسير بهم الحيتان إلى أن يأخذوا حدها من الساحل، فتقـذف بهم في مـنزل من تلك المنازل، فإذا وصلوا إلى البر وخرجوا من ذلك البحر، رجعت إليهم عقــولهم، وبان لهم محصولهم فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر، أقل ما يعبر عنها، بأنهـا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (ص118) .

وفي ختام هذا الهذيان يقول الجيلي:

"وأما البحر السابع فهو الأسـود القـاطع، لا يعـرف سـكانه، ولا يعلم حيتانـه، فهـو مستحيل الوصول غير ممكن الحصول، لأنه وراء الأطوار وآخر الأكوار والأدوار، لا نهاية لعجائبه، ولا آخر لغرائبه، قصر عنه المدى فطـال، وزاد على العجـائب حـتى كأنه المحال، فهو بحر الذات الذي حارت دونه الصفات، وهـو المعـدوم الموجـود والموسوم والمفقود والمعلوم والمجهول والمنقول والمحتوم والمعقول، وجـوده فقدانه، أوله محيط بآخره وباطنه مستو على ظاهره، لا يدرك ما فيـه، ولا يعلمـه أحد فيستوفيه، فلنقبض العنان عن الخوض فيه والبيان (واللـه يقـول الحـق وهـو يهدي السبيل) وعليه التكلان" (ص118) أ.هـ.

وهكـذا يكـون الهـذيان مختومـاً بقولـه تعـالى {واللـه يقـول الحـق وهـو يهـدي السبيل..} ..أعرفتم الحق الذي يدعونا إليه الجيلي ومن على شـاكلته من هـؤلاء الملاحدة والزنادقة؟ إنه هذا الهذيان الذي لا أول له ولا آخر.

ما الذي يريده هؤلاء الملاحدة؟!

وقد يسأل سائل: وما الذي يريده هؤلاء من تأليف هذه الكتب، ونشر هذا الجنون والهذيان؟! ولست أنا الذي سأجيب عن هذا السؤال، وإنمـا سـأثبت الجـواب من كلام الجيلي نفسه. إنه يقول بالنص:

"اعلم أن الله تعالى إنما خلق جميع الموجودات لعبادته، فهم مجبولون على ذلك مفطورون عليه من حيث الأصالة، فما في الوجود شيء إلا هـو يعبـد اللـه بحالـه ومقاله وفعاله، بل بذاته وصفاته، فكل شيء في الوجود مطيع لله تعـالى، لقولـه تعالى للسماوات والأرض {ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينـا طـائعين} وليس المـراد بالسـماوات إلا أهلهـا، ولا بـالأرض إلا سـكانه. وقـال تعـالى {ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ثم شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدونه بقوله [كل ميسر لما خلق له] لأن الجن والإنس مخلوقـون لعبادتـه وهم ميسـرون لمـا خلقوا له، فهم عبـاد اللـه بالضـرورة، ولكن تختلـف العبـادات لاختلاف مقتضـيات الأسماء والصفات، لأن الله تعالى متجل باسمه المضـل، كمـا هـو متجـل باسـمه الهادي، فكما يجب ظهور أثر اسمه المنعم، كذلك يجب ظهور أثر اسمه المنتقم. واختلاف الناس في أحوالهم لاختلاف أرباب الأسماء والصفات، قال تعالى {كـان النـاس أمـة واحـدة} يعـني عبـاد اللـه مجبولـون على طاعتـه من حيث الفطـرة الأصلية، فبعث الله النبيين مبشـرين ومنـذرين ليعبـده من اتبـع الرسـل من حيث اسمه المضل، فاختلف الناس وافترقت الملل وظهرت النحل، وذهبت كل طائفة إلى ما علمته أنه صواب.

ولو كان ذلك العلم عند غيرها خطأ ولكن حسـنه اللـه عنـدها ليعبـدوه من الجهـة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة في ذلك الأمر، وهذا معنى قولـه {مـا من دابـة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها} فهو الفاعل بهم على حسب ما يريد مريده، وهو عين ما اقتضته صفاته، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضـى أسـمائه وصفاته، فلا ينفعه إقرار أحد بربوبيته ولا يضره جحود أحد بذلك، بـل هـو سـبحانه وتعالى يتصرف فيهم على مـا هـو مسـتحق لـذلك من تنـوع عباداتـه الـتي تنبغي لكماله، فكل من في الوجود عابد لله تعالى، مطيع لقوله تعـالى {وإن من شـيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}، لأن من تسبيحهم ما يسمى مخالفـة ومعصـية وجحـوداً وغـير ذلـك، فلا يفقهـه كـل أحـد، ثم إن النفي إنمـا وقـع على

الجملة، فصح أن يفقهه البعض؛ فقوله {ولكن لا تفقهون تسبيحهم} يعني من حيث الجملة، فيجوز أن يفقهه بعضهم" (ص120).

وبعد أن يذكر الجيلي طوائف الناس ومللهم يقول : "فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم فهم له كما يستحق ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف" (ص122).

ويشرح هذا المعنى تفصيلياً فيقول:

"فأما الكفار فإنهم عبدوه بالذات، لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود وهو حقيقتهم فكفروا أن يكون لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها (وما دام أنهم في زعمه وكفره هم عين الله فهم ينفذون لثبته وأمره بل هم الله فلا حاجة بهم إلى أن يعلموا ذلك أو لا يعلموه. وبالتالي فكفرهم بإله غيرهم وخارج عن طبيعتهم هو عين الإيمان وعين الحق في نظر الجيلي الزنديق ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة الذين لم تعرف الأرض أفجر ولا أكفر منهم).

ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذوات الوجود، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها فما عبدوا إلا الله" (ص122).

وأظن أنه ليس هناك عبارة أصرح وأوضح من هذه العبارات تبين المقصود والمآل الذي يرمي المتصوفة والوصول إليه.

ويستطرد الجيلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق. فيقول عن اليهود : "وأما اليهود فإنهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة في كل يوم مرتين.. ويتعبدون بالاعتكاف يوم السبت، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخل في بيته شيئاً مما يتمول به، ولا مما يؤكل، ولا يخرج منه شيئاً، ولا يحدث فيه نكاحاً ولا بيعاً ولا عقداً، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى في التوراة:

(أنت وعبدك وأمتك لله تعالى في يوم السبت)، فلأجل هذا حرم عليهم أن يحدثوا في يوم السبت شيئاً مما يتعلق بأمر دنياهم، ويكون مأكوله مما جمعه يوم الجمعة، وأول عندهم إذا غربت الشمس من يوم الجمعة، وآخره الاصفرار من يوم السبت.

وهذه حكمة جليلة؛ فإن الحق تعالى خلق السماوات والأرضين في ستة أيام، وابتدأها في يوم الأحد ثم استوى على العرش في اليوم السابع وهو يوم السبت، فهو يوم الفراغ، فلأجل هذا عبد الله اليهود بهذه العبادة في هذا اليوم إشارة إلى الاستواء الرحماني وحصوله في هذا اليوم فافهم" (ص127).

ثم يقول مادحاً النصارى كذلك فيقول:

"وأما النصارى فإنهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى، فهم دون المحمديين، سببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس، ثم قالوا بعدم التجزئة، ثم قالوا بمقدمه على وجوده في محدث عيسى وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي".

أي أن فعل النصارى هذا من تشبيه الله بخلقه ومن عبادة الثلاث ومن اتخاذ أرباب مع الله كل ذلك لائق في عقيدة عبدالكريم الجيلي ولكنه يراهم أيضاً مقصرون لأنهم حصروا الله في ثلاث نقط، والله عنده لا ينحصر في ثلاثة لأن كل موجود هو الله.

هذه هي الغاية التي يسعى هؤلاء الزنادقة سعياً حثيثاً إليها. إنها التسوية بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والكفر والإيمان، وإبليس وجبريل، ومحمد صلى الله عليه وسلم وأبو جهل، والخمر والماء، والأخت والأجنبية، والزواج والزنا واللواط، والقتل ظلماً والرحمة، والتوحيد والشرك، فلا ضلال في الأرض إلا في نظر القاصرين فقط، وأما العارفون فكل هذه الموجودات شيء واحد بل ذات واحدة تعددت وجوداتها، وتعددت أشكالها وألوانها وهي حقيقة واحدة -وبهذا الدين الذي لم تعرف البشرية أظلم ولا أفجر ولا أكفر منه- اعتقد هؤلاء الزنادقة وألبسوا هذا الدين الفاجر آيات القرآن وأحاديث النبي الكريم، ووصفوا أنفسهم بأنهم خير الناس وأعلمهم وأتقاهم، وهذه هي حالهم في الظلم والكفر والفجور، وهدم دين الإسلام وإحلال شرائع الشيطان مكان شريعة الرحمن، وطمس صفات الله ونوره سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأستغفر الله من نقل هذا الكفر وتسطيره. فإنه كفر لم تقله اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الصابئة.. ورحم الله الإمام عبدالله بن المبارك الذي كان يقول: إنا لنحكي كفر اليهود والنصارى ونستعظم أن نحكي كفر الجهمية.. فكيف لو رأى كفر هؤلاء الصوفية الملاحدة ماذا كان يقول في ذلك؟!

حقاً إن هذا لشيء عظيم ولكننا مضطرون أن نذكر كفرهم لندحضه ولنبينه للناس ليحذرون بعد أن عم شرهم البلاد والعباد، وبعد أن اغتر بهم جمع غفير من المسلمين، فظنوا أن الحق مع هؤلاء فاتبعوهم حتى صرفوهم عن دين الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصلوهم إلى هذه النهاية المزرية التي يستحيل على الإنسان إذا وصلها أن يميز بين خير وشر، وهدى وضلالة، لأن كل هذه الأضداد ستكون عنده شيئاً واحداً.

ومع ذلك فإن الجيلي يستطرد في هذا الباب شارحاً مراده تماماً فيقول:

"ولم يفتقر في ذلك إلى علمهم، ولا يحتاج إلى نياتهم، لأن الحقائق ولو طال إخفاؤها لا أن تظهر" أ.هـ. يعني أن الله لا يحتاج أن يعلم الكافر به ما دام أن وجود هذا الكافر هو وجود الله، وأن هذه الحقيقة لا بد وأن تظهر للعيان يوماً ما..

ويمضي الجيلي شارحاً معتقده فيقول..

"وأما الطباعية فإنهم عبدوه من حيث صفاته الأربع..، لأن أربعة الأوصاف الإلهية.. التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة أصل بناء الوجود فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها في عالم الأكوان، فالرطوبة مظهر الحياة، والبرودة مظهر العلم، والحرارة مظهر الإرادة، واليبوسة مظهر القدرة. وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه وتعالى.. فعبدت هذه الطبائع لهذا السر فمنهم من علم ومنهم من جهل العالم سابق، والجاهل لاحق فهم عابدون للحق من حيث الصفات، ويؤول أمرهم إلى السعادة كما آل أمر من قبلهم إليها بظهور الحقائق التي بني أمرهم عليها" (ص123-124).

وهكذا يقرر الجيلي أن الفلاسفة الطبائعيين الذين قالوا برجوع الطبيعة إلى العناصر الأربعة هم عابدون لله شاؤوا أم أبوا، علموا أم جهلوا، وأن أمرهم إلى السعادة الأبدية. ويستدل لهذا الكفر الشنيع أيضاً بالقرآن فيقول: "والدليل من

القـرآن أن اللـه قـال في الأحـزاب المختلفين {كـل حـزب بمـا لـديهم فرحـون} فيقول: "إن فرحهم هذا في الدنيا والآخرة، فكل حزب يفرح بما عنده في الـدنيا، ويفرح به أيضاً في الآخرة عنـدما يطلـع الجميـع أنـه لا ثمـة إلا اللـه وأنهم جميعـاً مظاهر للذات الإلهية، وليسوا شيئاً خارجاً عنها".

وهكذا يستخدم القرآن أيضاً في هذا الكفر والباطل الذي لم تعـرف البشـرية لـه مثيلاً في كل تاريخها فقد ارتكز في الفطرة أن هناك حقـاً وبـاطلاً، هـدى وضـلالاً، نوراً وظلاماً، كذباً وصدقاً، وإيماناً..، ولكن عند هؤلاء الصوفية كل هذا شيء واحـد وحـق واحـد اختلفت مظـاهره ولم تختلـف حقيقتـه فالجنـة والنـار كلاهمـا نعيم، وإبليس وجبريـل كلاهمـا عابـد، بـل معبـود، بـل شـيء تعـددت صـفاته بتعـدد موجوداته..

ويستطرد الجيلي في شرح كفره وفجوره فيقول:

"وأما الثنوية فإنهم عبدوه من حيث نفسه تعالى، لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه، فشمل المراتب الحقية والمراتب الخلقية، وظهر في الوصفين بالحكمين، وظهـر في الدارين بالنعتين، فما كان منسوباً إلى الحقيقة الحقية فهو الظاهر في الأنوار ومـا كـان منسـوباً إلى الحقيقـة الخلقيـة فهـو عبـارة عن الظلمـة، فعبـدوا النـور والظلمة لهذا السر الإلهي الجامع للوصفين والضدين والاعتبارين والحكمين كيف شئت من أي حكم شئت، فإنه سبحانه يجمعه وضده بنفسه.

فالثنوية عبـدوه من حيث هـذه اللطيفـة الإلهيـة ممـا يقتضـيه في نفسـه سـبحانه وتعالى، فهو المسمى بالحق، وهو المسـمى بـالخلق، فهـو النـور والظلمـة" (ص 125) أ.هـ.

بهذا الوضوح شرح الجيلي مذهب الفلاسـفة الصـوفية الزنادقـة الملاحـدة، وبهـذا التفصيل والبيان يستطرد أيضاً قائلاً:

"وأما المجوس فإنهم عبـدوه من حيث الأحديـة، فكمـا أن الأحديـة مفنيـة لجميـع المراتب والأسماء والأوصاف، كذلك النار فإنها أقوى الاستقصاءات وأرفعها، فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتهـا، لا تقاربهـا طبيعـة إلا تسـتحيل إلى الناريـة لغلبـة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ينـدرج فيهـا ويضـمحل، فلهـذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاتها وتعالى".

فيجعل المجوس قسماً غير الثنوية والمعلوم أنهم قسـم واحـد فالثنويـة القـائلون بالنور والظلمة وإله للخير وإله للشر هم أيضاً المجوس عبدة النار التي يجعلونهـا ستاراً وعلامة لإلهم إله الخير في زعمهم ولكن الجيلي الملحد يجعل هـؤلاء أيضـاً عبـدة النـيران من أهـل الحـق والتوحيـد وأن عبـادتهم للنـار حـق أقـوى العناصـر وأرفعها ويقول والنار حقيقتها ذات الله تعالى. فأي كفر يا قـوم في الأرض أعظم من هذا وأكبر.. ويمدح الجيلي المجوس فيقول:

"فلما انتشقت مشام أرواح المجوس لعطر هذا المسـك زكمت عن شـمه سـواه فعبدوا النار وما عبدوا إلا الواحد القهار" أ.هـ (ص126).

فأي تصريح عن عقائد القوم أبلغ من هذا..

ثم يقول: "وأما الدهرية (أي الاسم) فإنهم عبدوه من حيث الهويـة (الدهريـة: هم القائلون بأنه لا إله والحياة مادة فما هي أرحـام تـدفع وأرض يبلـع واسـمهم هـذا مأخوذ من قوله تعالى {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيـا ومـا يهلكنـا إلا

الدهر وما لهم بذلك من علم إن إلا يظنون} (الجاثية:24)) فقال عليه السلام: [لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر]".

قلت: هذا إبليس والزنادقة لم يصل إلى هذا الحد في الكفر فالمقصود بقول رسول الله [إن الله هو الدهر] هو أنه سبحانه وتعالى مقدر المقادير؛ فسب الأيام سب لله لأنه هو مقدر المقادير سبحانه وتعالى والزمان لا دخل له في ذلك. فنهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب الزمان لأن هذا من ثم يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى. وليس مقصود الرسول حتماً أن الله هو الزمان لأن الله جل وعلا هو خالق الزمان والمكان والخالق غير المخلوق. وأما الدهرية فإنهم لا يؤمنون بإله أصلاً والجيلي يجعل هؤلاء الملاحدة عباداً لله.. انظر..

الغزالي - وطريق الكشف:

لعل من العجائب والغرائب أن يسقط رجل في طريق التصوف كالغزالي رحمه الله وعفا عنه. وعلى ما كان منه فقد كان من علماء الشريعة. ولكن لقصر باعه -رحمه الله- في علم السنة ومعرفة صحيح الحديث من ضعيفه فقد اغتر بما عليه الصوفية من ظاهرهم، وما يبدونه ويعلقونه من الورع والتقوى، ولما كان عنده من الفلسفة الأولى التي دخل في بطنها ولم يستطع الخروج منها على حد قول تلميذه الإمام ابن العربي المالكي رحمه الله فإنه قد دون للمتصوفة ما دون في كتابه إحياء علوم الدين. ومن ذلك ما نقله عنهم في زعمهم بالكشف حيث يقول:

"فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله، كان الله له - وزعموا أن الطريق في ذلك، أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العالم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمه. ثم يخلوا بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا يكتب حديثاً ولا غيره. بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى. فلا يزال، بعد جلوسه في الخلوة، قائلاً بلسانه: الله.. الله.. على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه. ثم يصير عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقي معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه، كأنه لازم له، لا يفارقه، وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس. وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى. بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق.

وعند ذلك إذا صدقت إرادته، وصفت همته، وحسنت مواظبته، فلم تجاذبه شهواته، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا - تلمع لوامع الحق في قلبه، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف ثم يلبث ثم يعود وقد يتأخر. وإن عاد فقد يثبت، وقد يكون مختطفاً. وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد.

ومنازل الأولياء الله تعالى فيه لا تحصر، كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم - وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك، وتصفية وتجليات، ثم استعداد وانتظار فقط" أ.هـ

فانظر قول الغزالي عن الصوفي الذي يريد الوصول إلى الكشف (ويجلس فارغ القلب، مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديثاً ولا غيره.. بل يقول.. الله الله على الدوام..) فهل وجد مثل هذا الأمر في كتاب أو سنة أو أنه عمل مبتدع يريد به صاحبه غاية لا تحصل له، وهي رؤية الله أو أنوار الله، أو الملائكة أو رسول الله؟!

وهل يرى الصوفي من وراء هذا الذكر المبتدع غير طوالع نار الشياطين، وبوارق كيدهم، ولوائح طلوعهم على من جعل له غاية غير غايات الدين وطريقاً غير طريق المؤمنين الذي سنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسن لنا الرسول أن يجلس أحدنا في زاوية مظلمة ولا يجعل على خاطره شيئاً غير الله وينتظر أن ينزل عليه الوحي والكشف.. وبالطبع من جعل له غاية غير غايات الكتاب والسنة تلاعبت به الشياطين وظن أن ما تنزل عليه إنما هو من الله وما هو من الله.. والغزالي الذي قرر هذا الكلام للصوفية وساعد في نشر زندقتهم وكفرهم لم يتقدم فيما أعلمه خطوة أخرى وجعل من تنزل الملائكة على الصوفية وذلك فيما أظن وأعلم أن الرجل يعلم أن من قال بنزول الوحي عليه بعد النبي فقد كفر ولذلك أنكر الغزالي أن تكون الملائكة تنزل على الأولياء والصوفية كما تنزل على الأنبياء، واكتفى بما ذكرناه عنه آنفاً أن الأولياء والصوفية تشرق على قلوبهم هذه العلوم التي يقولونها إشراقاً من الغيب فضلاً من الله لهم ورحمة –في زعمه- بهم. لقد اكتفى الغزالي في تقريره الكشف الصوفي بإشراق العلوم في القلب وسماع الصوت أيضاً كما قال: "الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم فإن لم يكن له مكان مظلم فليلق رأسه بجيبه، أو يتدثر بكساء أو إبراز ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال - الحضرة البوبية) (إحياء علوم الدين ج2 ص66).

وعلى الرغم من أن الغزالي جارى الصوفية في مزاعمهم هذه، وقرر ما ابتدعوه من الخلوة والظلام ولف الرأس وانتظار العلوم إلا أن إنكاره نزول الملك على الصوفي لم يعجب كبار الصوفية، وأهل الحقيقة منهم، ولذلك عنفوه وجهلوه وجعلوا هذا منه لقلة الذوق وعدم التحقق بنفسه وعدم مقابلته لمن هو أعلى منه مقاماً، وأحسن منه حالاً، وأنه لو التقى بمن هو أعظم منه وأكبر منه في هذا الطريق لعلم أن الملائكة ينزلون على أولياء الصوفية تماماً كما ينزلون على الأنبياء وأنه لا فرق إلا في نوع العلوم فقط لا في كيفية النزول ولذلك كتب عبدالوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر اعتراض الغزالي وإنكاره لنزول الملك على الصوفي وأتى بالجواب من ابن عربي الذي خطأ الغزالي ورد عليه في عدم جواز نزول الملك على الصوفي فقال:

"(فإن قلت) قد ذكر الغزالي في بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب الأولياء نزول الملك فإن الولي يلهم ولا ينزل عليه قط، والنبي لا بد له من الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح؟

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة أن ذلك غلط والحق أن الكلام في الفرق بينهما إنما هو في كيفية ما ينزل به الملك لا في نزول الملك إذ الذي ينزل به الملك على الرسول أو النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فإن الملك لا ينزل على الولي التابع إلا بالاتباع لنبيه

وبإفهام ما جاء به بما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلاً فيخبره ملك الإلهام بأنه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل اللـه عز وجل لا مطلقاً. وقد ينزل الملـك على الـولي ببشـرى من اللـه بأنـه من أهـل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا؛ وهذا وإن كان إنما يقع عند الموت فقـد يعجـل اللـه تعـالى بـه لمن يشـاء من عبـاده *قـال الشـيخ: وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الـولي عـدم الـذوق وظنـوا بأنهم قد علموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملـك الإلهام نزل عليهم أنكـروه وقـالوا ذلـك خـاص بالأنبيـاء فـذوقهم صـحيح وحكمهم باطل مع أنهؤلاء الذين منعوا قـائلون بـأن زيـادة الثقـة مقبولـة وأهـل اللـه كلهم ثقات. قال ولـو أن أبـا حامـد وغـيره اجتمعـوا في زمـانهم بكامـل من أهـل اللـه وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلـك ولم ينكـروه. قـال وقـد نـزل علينـا ملك الإلهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بـذلك جماعـات كثـيرة ممن كـان لا يقول بقولنا فرجعوا إلينا فيه ولله الحمد".

وهكذا يقرر ابن عربي، الفيلسوف الصوفي والذي يسمونه الشـيخ الأكـبر، جـواز، بل وقوع نزول الملائكة على شيوخ الصوفية وأن هـذا قـد وقـع لـه ومـد لمشـايخ كثيرين ممن هم على شاكلته من أهـل الكـذب والزيـغ. وإليـك في الفصـل الآتي طائفة من كلام ابن عربي في هذا الصدد:

ابن عربي والكشف الصوفي:

لم أطلع فيما اطلعت على كاتب صوفي أكثر تبجحاً فيما زعمه من العلم الباطني أكثر من ابن عربي الأندلسي الأصل، المغربي، ثم الشامي، سكناً ووفاة.

لقد ملأ هذا الكاتب كتبه مدحاً لنفسه، وأنه لا يستطيع أحد مجاراته قط. فقد زعم لنفسه الإطلاع على كل ما سطره الفلاسفة قديماً ومـا كتبـه اليهـود والنصـارى.. والمطالع لكتبه يجد هذا واضحاً جـداً في مؤلفاتـه فقـد ادعى لنفسـه ختم الولايـة الكبرى الخاصة وأنه خاتم الأولياء كما كان محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم خـاتم الأنبياء، وكان في هذا الكذب متبعاً لمن سبقه ممن ادعى ختم الولايـة كالترمـذي الذي يسمونه الحكيم وهو محمد بن علي الترمذي.. وادعى لنفسه العلم الكامــل المحيط بالقرآن والسنة، وأن تآليفه كلها معصومة من الخطأ، وأنه لا يكتب شـيئاً إلا عن وحي يوحى، بل زعم أن أبواب كتابه الفتوحات المكية توقيفي يتبع فيه ما يوحى إليه وليس له يد في ترتيب فصوله وأبوابه..

وأنه أحياناً يتكلم بشيء بعد شيء لا رابط بينهما كما نـزل في القـرآن {حـافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين} بعد آيـات الطلاق ولا رابــط بينهما.. وأن علومه كلها محفوظة من الخطأ. وإليك نصوص عباراته في ذلك كمـا جمعها الصوفي الكبير عبدالوهاب الشعراني من ثنايـا كتـاب (الفتوحـات المكيـة) وضمنها عبدالوهاب في كتاب أسماه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الكبائر:

"قال في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكية جميـع مـا أتكلم به في مجالسي وتآليفي إنما هو من حضرة القرآن العظيم فإني أعطيت مفــاتيح العلم فلا أسـتمد قـط في علم من العلـوم إلا منـه كـل ذلـك حـتى لا أخـرج من مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامـه أو بمـا تضـمنه كلامـه *وقـال في الكلام على الآذان من الفتوحات: اعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتـابي هـذا ولا غـيره قـط أمـراً غـير مشـروع، ومـا خـرجت عن الكتـاب والسـنة في شـيء من تصـانيفي *وقـال في البـاب السـادس والسـتين وثلاثمائـة: جميـع مـا أكتبـه في

تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وإنما هو عن نفث في روعي من ملك الإلهام *وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة ليس عندي بحمد الله تقليد لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطأ *وقال في الباب العاشر من الفتوحات: نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما نقوله إلا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الألفاظ *وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة: جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني كل ذلك لي بحكم الإرث لا بحكم الاستقلال فإن النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام ووحي الإشارة والعبارة ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الإلهام تكن من العلماء الأعلام *وقال في الباب السابع والأربعين من الفتوحات: اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وإنما هي من الفيض الإلهي *وقال في الباب السادس والأربعين ومائتين: منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من علم بلا ذوق فإن علوم الذوق لا تكون إلا عن تجل إلهي والعلم قد يحصل لنا بنقل المخبر الصادق وبالنظر الصحيح *وقال في الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والأربعين وثلاثمائة: اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاماً بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بعده كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال في ذلك *وقال في الباب الثامن من الفتوحات: اعلم أن العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا إلى إلقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس في جنسه امتثالاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك. انتهى. فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم" (اليواقيت والجواهر ص24،25 ج2).

وفي نص آخر، يقرر الشعراني ما زعمه شيخه ابن عربي في أنه لا فرق بين وحي الأولياء وحي الأنبياء إلا أن وحي الأنبياء تشريع جديد، وأما الأولياء فإن وجهتهم كشف وعلم واتباع لمشرع الأنبياء..

"وقال في الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة: اعلم أنه لم يجيء لنا خبر إلهي أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي تشريع أبداً إنما لنا وحي الإلهام. قال تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحياً أبداً. وقد جاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام وكان ممن أوحي إليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا إلا بنا أي بشريعتنا وسنتنا مع أن له الكشف التام إذا نزل زيادة على الإلهام الذي يكون له كما الخواص من هذه الأمة.

(فإن قلت) فإذن الإلهام خبر إلهي (فالجواب) نعم وهو كذلك إذ هو إخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم.

(فإن قلت) فهل يكون إلهام بلا وساطة أحد (فالجواب) نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل إنسان وربه عز وجل فلا يعلم به ملك الإلهام لكن علم هذا الوجه يتسارع إلى إنكاره ومنه إنكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في إنكاره أن الأنبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم إلا على يد ملك لا يعرف شرعاً من غير هذا الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان

الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحي إليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بوساطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الإلقاء، وأشرفه إذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضاً" أ.هـ (اليواقيت والجواهر ص84 ج2).

وقول ابن عربي هنا "أو يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط (أي بين الولي والله) وهو أي هذا الإلقاء بهذه الطريقة أجل الإلقاء وأشرفه –إذا حصل الحفظ لصاحبه- ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضاً.." أ.هـ.. فانظر كيف جعل الولي كالنبي في تلقي الإلقاء الخاص من الله بلا وساطة ولم يكتف ابن عربي بتقرير هذا أيضاً بل راح يزعم أن هناك صورة أخرى للوحي للأولياء وهي انطباع صورة ما يريده الله في ذهن الولي قال الشعراني:

"(فإن قلت) فما حقيقة الوحي (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن حقيقته هو ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة إذ العبارة يتوصل منها إلى المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذات المشار إليه والوحي هو المفهوم الأول والإفهام الأول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه فإن لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الإلهام الذي يكون للأولياء. ألا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه انتهى.

(فإن قلت) فما صورة تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء (فالجواب) صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم علم في الضر به باليد الإلهية، كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الإسراء. ثم إن من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلاثمائة* (اليواقيت والجواهر ص84 ج2).

ويعني بالقربة الإلهية حديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابت في مسند أحمد: رأيت ربي الليلة في أحسن صورة فقال لي يا محمد: [فيم يختصم الملأ الأعلى] فقلت: [الله أعلم] فوضع رب العزة يده على ظهري حتى وجدت بردها في صدري فرأيت السماوات فقلت: [يا ربي في الكفارات والدرجات..] الحديث. ويعني ابن عربي بذلك أنه كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم ارتفع عنه الحجاب عندما وضع يده سبحانه على الكيفية التي شاءها سبحانه -على ظهر النبي فرأى النبي لذلك الملأ الأعلى وهم الملائكة- يختصمون أي يتناقشون في الكفارات والدرجات أي ما يكفر الذنوب لبني آدم، وما يعلي درجاتهم فقال الله سبحانه وتعالى مجيباً بعد رؤيته للملائكة وسماعه لحديثهم أما الكفارات فهي إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.. وأما الدرجات فهي إطعام الطعام وإلانة في الكلام والصلاة بالليل والناس نيام..

أقول أراد ابن عربي أن يجعل للصوفية ما خص الله به الأنبياء من الرؤيا الصادقة في النوم والاطلاع على ما في السماوات من الملأ الأعلى والملائكة فزعم أنه

يكون للولي الصوفي كذلك ما كان للنبي من كشف قناع قلبه ورؤيته للملأ الأعلى.

ولم يكتف ابن عربي بهذا أيضاً بل زعم لنفسه وجماعته الصوفية ما لم يعلمه رسل الله أنفسهم وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فقد زعم أن الصوفية أحياناً ينزل عليهم الوحي مكتوباً من السماء.

وأنه أعني ابن عربي يعلم الفرق بين ما في اللوح المحفوظ من كتابه وما يكتبه المخلوقون وبذلك يستطيع أن يفرق بين المكتوب النازل من السماء والمكتوب في الأرض.. قلت لم يقل نبي قط ولا أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك بشراً اطلع على ما في اللوح المحفوظ ولكن العجيب أن هؤلاء يزعمون العلم والإحاطة به. بل نقل الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى عن شيخه الخواص أنه كان يعلم ما يكتب في اللوح المحفوظ ساعة بساعة.. وزعم أحمد بن المبارك أن شيخه الأمي عبد العزيز الدباغ يعلم اللوح المحفوظ ويعلم كتابته وأنه بالسريانية! والمهم هنا أن ابن عربي يقرر في فتوحاته أن وحي الأولياء كثيراً ما ينزل مكتوباً كما نزلت التوراة مكتوبة..

يقول الشعراني عن شيخه:

"وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبدالله قضيب البان، وغيره، كبقي بن مخلد تلميذ الإمام أحمد رضي الله عنه لكنه أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقة انتهى (فإن قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) أن علامتها كما قال الشيخ في الباب الخامس عشر وثلاثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها. قال الشيخ: وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف يعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فإن وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها إلا إن وافقت الشريعة التي بين أظهرنا.

قال: وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى أني قلت لها إنوِ بقلبك أنه إذا فتح الله كفك أن تبتلعيها فنوت وقربت يدها إلى فمها فدخلت الورقة في فيها قهراً عليها فقال الولي بم عرفت ذلك فقلت ألهمت أن الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحد عليها وقد أطلعني الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى (اليواقيت والجواهر ص83،84 ج2)..

فانظر هذا الوحي الإلهي لهذه المريدة العزيزة الذي نزل في يدها وانطبقت عليه ثم ابتلعته.. وإن العالم النحرير والشيخ الكبير عرف بالكشف مراد الله فقال ابتلعيها.. الخ.. سبحانك يا رب لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك..

ولم يكتف ابن عربي بكل ما قرره في هذا الكشف الشيطاني للصوفية من أنه تنزل عليهم الملائكة، ويشاهدون الله ويسمعون الصوت ويأتيهم الوحي مكتوباً بل قرر أيضاً أن قلوب الأولياء تنكشف عنها الحجب فيشاهدون الجنة وما فيها، والنار وما فيها تماماً كما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الشعراني:

"(فإن قلت) فما صورة وصول الأولياء إلى العلم بـأحوال السـماوات (فـالجواب) يصل الأولياء إلى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشـفون عن أحـوال أهـل الجنـة وأهل النار بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا رأى الجنـة والنـار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السـوائب وصـاحب المحجن، وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت. وفي بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط انتهى والله أعلم.." أ.هـ (اليـواقيت والجـواهر ص88).

باختصار لم يترك ابن عربي صورة من صور الوحي الإلهي الذي يوحي به للرسل إلا أثبت مثيله ونظيره بل وأكمل منه للصوفية، وبالطبع كان لا بـد للمتصـوفة من أن يجيبوا عن تكفير علماء الأمة لهم ونسـبتهم إلى الزندقـة والمـروق من الـدين وذلك لادعائهم ما هو من خصوصيات الرسل رضـوان اللـه عليهم، إذ لا فـرق بين الرسول وغيره إلا الوحي، ولو كان واحد من الأمة يوحى إليه ويطلـع على الغيب، ويكون وارثاً للرسول في هذا الإطلاع والتحقق لما كان للرسالة معنى، ولا للنبوة منزلة وفائدة، ما دام كل إنسان يستطيع بنفسـه أن يصـل إلى اللـه ويطلـع على الغيب، وأن يعلم مراد الله على الحقيقة. ما مزية الرسـول هنـا ومـا منزلتـه، مـا دام كل أحـد إذا فعـل بعض المجاهـدات يكـون مثلـه ويـنزل عليـه الـوحي ويـرى الملائكة ويطلع على الملأ الأعلى، ويشاهد اللـه ويجلس في حضـرته ويطبـع اللـه مراده في ذهنه، ويكتب له ما شاء من الرسائل كما ادعى الحلاج أنه نزلت عليـه رسـائل كثـيرة بخـط اللـه، وادعى هـذا ابن عـربي كمـا مـر سـابقاً، لمـاذا يكـون مسيلمة إذاً كذاباً والقرآن الذي افتراه أحسن حالاً في جوانب كثيرة من حكايـات كثيرة من الصوفية التي زعموا أنهم تلقوها من الله وملائكته.. لقد كـان مسـيلمة أقوى حجة وأكثر تابعاً، وأعز جيشاً من كل مشايخ التصوف الكاذبين..

وإذا قال هؤلاء بأننا علمنا أن مسيلمة كـاذب بتكـذيب النـبي لـه قلنـا لهم وكـذلك يجب أن تحكموا على كل مشايخ التصـوف الـذين يزعمـون نـزول الـوحي عليهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسـلم أيضـاً لهم. إنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم هـو القائل لا تقوم الساعة حتى يقوم كذابون كثيرون يزعم كل منهم أنه نبي.. وأن لا نبي بعدي وأليس كل من زعم أنه يوحى إليه قد ادعى النبوة فكيف إذا زعم أيضاً أنه يرى الله؟ ويلتقي بالملائكة ويسـمع أصـواتهم، ويلتقي بالخضـر، ويـنزل عليـه الكتب مكتوبة من السماء، ويطلـع بقلبـه على الملأ الأعلى والملأ الأسـفل، أليس مسيلمة كان أقل كذباً من هؤلاء بل وأحكم منطقاً وأعظم عقلاً؟

أقول لما علم ابن عربي ومن على شـاكلته أن دعـاواهم هـذه لن تنطلي إلا على جاهل من أهل القبلة، وأن علماء المسلمين لا بد أن يكفروهم ويزندقوهم فإنـه احتاط لذلك وأجاب عما رماه به علماء الأمة الصالحون، ورمـوا بـه أيضـاً من هم على شاكلته في ادعاء العلم الغيبي والكشـف الصـوفي. أجـاب على ذلـك بـأنهم على شـريعة خاصـة، وأن علمـاء الشـريعة يمكن أن يحملـوا كلام الصـوفية على خلاف في الرأي كما هو حادث بين الشـافعي والحنفي أو يـنزلوا كلام المتصـوفة كأنه كلام أهل الكتاب فلا يصدقونهم ولا يكذبونهم..

قال الشعراني:

"(فـإن قلت) قـد رأينـا في كلام بعضـهم تكفـير الأوليـاء المحـدّثين بفتح الـدال المهملة لكونهم يصححون الأحاديث التي قال الحفاظ بضعفها. (فالجواب) تكفـير النـاس للمحـدثين المـذكورين عـدم إنصـاف منهم لأن حكم المحـدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كـل واحـد من المجتهـدين أن يخـالف مـا ثبت عنـده

فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما أشرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين: وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لأنه ما قام عندهم على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام. ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا: إن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب، قال الشيخ محيي الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام على ذلك ولكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك الولي مخطئ في مخالفتهم فإن قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فإن أقل الأحوال أن ينزلوا الأولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى (اليواقيت والجواهر ص90 ج2)..

وهذا الاعتذار والجواب عن تكفير أهل السنة لهؤلاء في غاية الجهالة أيضاً لأن ما أتى به المتصوفة مما يسمونه كشفاً ليس من الخلاف في الرأي، ولا الخلاف الفرعي، بل هو مصادم لأحكام الإسلام ومبادئ الإيمان.

فالتصديق أصلاً بأنهم يعلمون من طريق الوحي كفر لأنه يناقض ما جاء به القرآن والحديث، من أن الوحي قاصر على الأنبياء فقط وأن لا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من النبوة الرؤيا الصادقة فقط.. وأما سماع صوت الملك وانقشاع حجاب القلب ونزول الأوراق المكتوبة من السماء كل هذا من خصائص النبوة التي انتهت بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم..

ثم ما جاء به الصوفية مما جعلوه ونسبوه إلى الكشف هو في عامته وحي إبليسي شيطاني لم يترك كفراً في الأرض إلا نسبه إلى الدين كتبرئة إبليس من الكفر والقول بنجاة فرعون ودخوله الجنة وأن فلاناً من أهل الجنة ومن الصديقين والحال أنّ شارب الخمر زنديق، وأن فلاناً يطلع على اللوح المحفوظ، وأن فلاناً الذي يأتي (الحمارة)في الشارع ولي لله تعالى، وفلاناً القذر الذي لا يمس الماء ولا يتطهر من حدث أو جنابة ولي صالح، وفلان الذي يقول أنا الله وما في الجبة إلا الله وسبحانه ولي صالح.. الخ.

هذا الكفر كيف يكون هذا من جنس الخلاف بين الشافعي والحنفي في قراءة الفاتحة وراء الإمام وفي نقض الوضوء من مس المرأة.. ومثل هذه الفرعيات التي كان فيها خلاف حول فهم النصوص القرآنية الحديثية..

وأما قياس ابن عربي ما جاء به المتصوفة أيضاً على كلام أهل الكتاب الذين قال الرسول فيهم لا تصدقوهم ولا تكذبوهم.. فإنه قياس بعيد أيضاً لأن هذا فيما قاله أهل الكتاب مما لا يناقض عقيدة الإسلام. وإلا كيف لا نكذب أهل الكتاب في قولهم إن الله استراح في اليوم السابع وإنه تصارع مع يعقوب (إسرائيل) وصرعه إسرائيل وإن لوطاً زنى بابنتيه وإبراهيم قدم زوجته لحاكم مصر ليحصل على إبل وغنم، وإن المسيح ابن الله وغير ذلك من الخرافات والخزعبلات وصنوف الكذب على الله والأنبياء.

لا شك أن المسلم يكذب اليهود في كل ما زعموه مما هو مناقض لعقيدة الإسلام وما قرر الله سبحانه وتعالى غيره تماماً وضده في القرآن، كيف نؤمن بكلام الصوفية وكشوفاتها وهو لا يقل في عمومه خبثاً ونجاسة عما افتراه اليهود

والنصارى على الله.. كيف نصدق الصوفية في كشفهم أن الخنزير والكلب هو الله، وأن المخلوق والخالق شيء واحد، وأن القائلين بخالق فوق العرش مباين للعالم جاهلون بعقيدة التوحيد.. كيف يكون الكشف الصوفي هذا الذي يزعم أصحابه أنهم أخذوه عن الله ونقلوه بحرفيته هو الحق وأنه يجب على علماء الشريعة والإسلام أن يعاملوا الصوفية كما يعاملون اليهود والنصارى في أن لا يصدقوهم ولا يكذبوهم.. أقول بل يجب تكذيبهم في كل ما افتروه على الله وعلى رسوله مما يخالف كلام الله وكلام رسوله. ومما هو كفر صراح بواح لا يشك ولا يماري فيه من له أدنى علم بالكتاب والسنة عنده بصر وبصيرة يستطيع أن يميز فيه بين كلام الله وكلام الشياطين وبين وحي الله سبحانه الذي ينزل به جبريل الأمين محفوظاً أن يناله الشياطين أو أن يدخلوا معه ما ليس منه وبين وحي إبليس اللعين الذي يلقبه هو وأولاده وأفراخه على أوليائه من هؤلاء الكذابين والأفاكين..

فيدعون لأنفسهم ما ادعوه من كل كذب وزور وفجور..

والعجيب أيضاً أن ابن عربي الذي نحن بصدد بيان افتراءاته في الكشوف والعلوم التي له كان يعلم أن هناك وحياً شيطانياً يتنزل على بعض الصوفية، وأن هناك من يحفظ منهم من تلبيس الشيطان ومنهم من لا يحفظ.

يقول عبدالوهاب الشعراني أيضاً في كتابه اليواقيت فيما ينقله عن ابن عربي:

"(فإن قلت) فمتى يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الإلهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات؛ فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الإلهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني حفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل.

قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين: مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبي حامد الغزالي وابن سيد لون (رجل بوادي اشت) قولهم إذا ارتقى الولي عن عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لأنه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق. قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وإنما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم إن صح أن أحداً يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعراج وأما من عرج به بخاطريته وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلاً فقد لا يحفظ من التلبيس إلا أن يكون له علامة في ذلك كما مر وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن الشيطان لا يزال مراقباً لقلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أو لم يكن لأن له حرصاً على الإغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش إبليس بالترجي ويقول لعل وعسى فإن رأى إبليس باطن العبد محفوظاً وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل إلى جسد ذلك العبد فيظهر له في صورة الحس أموراً عسى أن يأخذ بها فإذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلاً جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فإذا عجز أن يوقعه في شيء يقبله منه بلا وساطة نظر في حال ذلك الولي فإن رأى أن من عادته الأخذ للمعارف من الأرض أقام له أرضاً متخيلة ليأخذ منها فإن أيد الله تعالى ذلك العبد رده خاسئاً لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الأرضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من إبليس ما ألقاه إليه من الله لا من إبليس فيرده أيضاً خاسئاً وكذلك إن رأى إبليس أن حال ذلك الولي الأخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف

بما قلناه في شأن الأرض المتخيلة والأصلية وإن رأى أن حال ذلك الولي الأخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى إليه ما عرف أن ذلك الملك يلقيه إليه من ذلك المقام فإن كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وإن كان محفوظاً حفظ منه فيطرد عنه إبليس ويرمي ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن إبليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وإن رأى الشيطان أن حال ذلك الولي الأخذ من العرش أو من العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً بميزان وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين" أ.هـ (اليواقيت والجواهر ص87 ج2).

والعجيب من الغزالي أيضاً كيف ظن أن ما يزعم الصوفي نقله من السماوات لا يكون فيه شيء شيطاني لأن الله حفظ السماء من الشياطين، وكأنه قد غاب عنه أن الصوفي الذي يزعم الوصول إلى السماوات هو جالس هنا في الأرض تستهويه الشياطين وتحف به من كل جانب.

ولم أر ابن عربي صدق في هذا الصدد إلا فيما نقلناه عنه آنفاً من بيان تلبيس الشياطين على الصوفية في تصويره لهم سماء متخيلة، أو سدرة المنتهى أو الملائكة.. الخ. حتى يظن الصوفي أنه قد رأى ذلك فعلاً وأنه ينقل علمه من هناك والحال أنه ينقل عن الشياطين الذين يزخرفون له ذلك ويحيلون له ما يشاهده مما ليس هنالك هو تماماً ما وقع لهؤلاء الصوفية ومنهم بل أولهم في ذلك هو ابن عربي هذا الذي لم يترك كفراً في الأرض إلا سطره في كتبه وبخاصة كتابه الفصوص (فصوص الحكم) وكتابه (الفتوحات المكية).

لقد عرف ابن عربي حقاً الطريق الذي استقى منه هو والصوفية وأنه الشياطين الذي يخيلون لهم هذه الخيالات ويوحون إليهم بهذه الكلمات.

وسيجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب نقولاً مستفيضة عن ابن عربي تبين ما هي حقيقة كشوفاته ووحيه الذي أوحي به إليه ولكني أحب أن أختم هذا الفصل في بيان موقف ابن عربي من الكشف بحقيقة موقفه من إبليس لنبين للقارئ بما لا يدع مجالاً للشك أي دين يدين به هؤلاء وأي علم يزعمون الوصول إليه وأي كشف اكتشفوه..

فمن المعلوم يقيناً عند كل مسلم أن إبليس هو رأس الشر والبلاء وأنه عدو لآدم وذريته منذ امتنع عن السجود لآدم وطرده الله بسبب ذلك من رحمته وجعل الله عليه اللعنة إلى يوم يبعثون وأنه يكون في الآخرة في جهنم كما قال تعالى:

{وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم} (إبراهيم:22).

والشيطان في هذه الآية هو إبليس بإجماع المفسرين وكذلك قوله تعالى: {فكبكبوا فيها هم والغاوون* وجنود إبليس أجمعون* قالوا وهم فيها يختصمون* تالله إن كنا لفي ضلال مبين* إذ نسويكم برب العالمين* وما أضلنا إلا المجرمون* فما لنا من شافعين* ولا صديق حميم} (الشعراء:94-101).

ولا شك أن جنود إبليس يستحيل أن يدخلوا النار ولا يدخل هو معهم إذ كيف يدخل الجنود ويبقى رأس الجند من الناجين. ولعل قائلاً يقول ولماذا هذا التطويل

في بيان أن إبليس من أهل الجحيم. إن هذا أمر بـديهي معلـوم عنـد جميـع أبنـاء الإسلام وأقول: إن هذا الأمر البـديهي المعلـوم من الـدين بالضـرورة الـتي يعتـبر جاحداً وناكراً وكافراً مرتداً من نفاه هو ما أثبت ابن عربي تبعاً في زعمـه لسـهل بن عبدالله التستري ضده، وهو أن إبليس من الناجين وأنـه لن يـدخل النـار أبـداً وأنه أعني إبليس التقى في زعم ابن عربي بسهل بن عبدالله التستري الصـوفي كان من كبار مشايخهم في القرن الثالث فناقشه في هذه المسـألة وبين لـه أنـه من الناجين، وأنه لن يدخل النـار وأن اللـه سـبحانه وتعـالى سـيغير مـا أثبتـه في القرآن لأن الله لا يجب عليه شيء وما دام أنه لا يجب عليه شيء ولا يقيده قيـد، فإنه قد قضى بنجاة إبليس يوم القيامة، وتبرئتـه من جميـع التهم المنسـوبة إليـه والعفو التام عنه..

..انظروا يا مسلمين هـذا الكشـف الصـوفي مـا أعظمـه وأطرفـه بـل مـا أفجـره وأكفره.. إن ما أتعب النبي محمداً صلى الله عليه وسلم فيـه نفسـه طيلـة ثلاثـة وعشـرين عامـاً من بيـان قصـة إبليس وآدم، ومن لعن إبليس دائمـاً، واسـتفتاح صلاته بالاستعاذة منه، وقوله صلى الله عليه وسلم له عندما خنقـه [ألعنـك بلعنـة الله.. ألعنك بلعنة الله.. ألعنك بلعنة اللـه..] وذلـك عنـدما جـاء إبليس اللعين هـذا بشهاب من نار ووضعه في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلي..

هـذا الـذي أتعب فيـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم نفسـه ومن بعـده سـائر الصـحابة والمسـلمين؛.. جـاء ابن عـربي اليـوم ليـبين لنـا عن شـيخه المزعـوم التستري أنه كان خطأً في خطأ، وأنه يوم القيامـة يكـون في الجنـة مـع من أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين وحسـن أولئـك رفيقـاً.. وأن هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة..

ويعني ابن عربي بذلك الأشاعرة لأنهم يقولون (لا يجب على الله شيء) وما دام لا يجب عليه شيء فيجوز أن يدخل إبليس الجنة..

وهـذا الجـائز العقلي عن الأشـاعرة جعلـه ابن عـربي ممكنـاً وواقعـاً لأن شـيخه القشيري التقى بإبليس وناقشه في هذه المسألة وتحقـق منـه أنـه سـيكون يـوم القيامة من الفائزين الفالحين.. وهذا نص الحكايـة المزعومـة وتعقيب ابن عـربي عليها بنصها من كتاب اليواقيت والجواهر..

"وذكر الشيخ محيي الـدين في البـاب الثـالث والتسـعين ومـائتين أيضـاً مـا يؤيـد اعتقاد أهل السنة والجماعة من أن الحق تعالى لا يجب عليه شيء وهو أن سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه قال لقيت إبليس مـرة فعرفتـه وعـرف مـني أنني عرفته فوقع بيني وبينه مناظرة فقـال لي وقلت لـه وعلا بيننـا الكلام وطـال النزاع بحيث إنه وقف ووقفت حائراً وحرت فكان آخر ما قال لي يا سهل إن الله تعالى قال ورحمتي وسعت كل شيء نعم ولا يخفى عليك أنني شيء ولفظة كـل تقتضي الإحاطة والعموم إلا ما خص وشيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته أنا وجميع العصاة فبأي دليل تقولون إن رحمة الله لا تنالنـا. قـال سـهل فواللـه لقـد أخرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآيـة وفهمـه منهـا مـا لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائراً متفكراً وأخذت أردد الآيـة في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتـون الزكـاة إلى آخر النسق فسررت بها وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهـرت عليـه بمـا يقصـم ظهره فقلت لـه: تعـال يـا ملعـون، إن اللـه تعـالى قـد قيـدها بنعـوت مخصوصـة تخرجك عن ذلك العموم فقـال سـأكتبها للـذين يتقـون إلى آخـر النسـق. فتبسـم إبليس وقال: يا سهل، التقييد صفتك لا صفته تعـالى. ثم قـال: يـا سـهل مـا كنت

أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت وما ظننت أنك ههنا ليتك سكت، قال سهل فرجعت إلى نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي وما وجدت لـه جوابـاً ولا سددت وجهه باباً وعلمت أنه طمع في مطمع وانصرف وانصـرفت ووالله مـا أدري بعد هذا ما يكون فإن الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشـكال فبقي الأمـر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه بذلك إلا بما حكم بـه على نفسـه من حيث وجود الإيمـان بـه. انتهى كلام سـهل. قـال الشـيخ محـيي الـدين: وكنت قديماً أقول ما رأيت أقصر حجـة من إبليس ولا أجهـل منـه فلمـا وقفت لـه على هذه المسألة التي حكاها عنه سهل رضي الله عنـه تعجبت وعلمت أن إبليس قـد علم علماً لا جهل فيه فله رتبة الإفادة لسهل في هـذه المسـألة. انتهى فقـد بـان لك أن الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة إليه لا موجب أوجب ذلـك عليـه" أ.هـ (اليواقيت والجواهر ص60 ج1).

وأظن الآن أنه قد وضح للقارئ تماماً ما هو الكشف الصـوفي، وأنـه عمليـة هـدم منتظمة للدين الحنيف الذي جاء به سيد المرسلين صلى اللـه عليـه وسـلم، فمـا دام إبليس من الناجين فليس هناك شيء ثابت في هذا الدين.

ولا عجب فيمـا رووا عن إبليس، فـإن أسـتاذهم الحلاج وأحـد كـبرائهم قـال في إبليس ما لم يقله أحد منهم في جبريل؛ إذ جعله سيد الملائكة أجمعين ذلـك لأنـه أبى أن يسجد إلا لله.. لأن عبادته لله خاصة فقـط وذلـك كـان أعظم الموحـدين. وإليك هذه النماذج من الكشف الصوفي اللعين.

1- ملك ينزل إلى الأرض على شكل خواجة:

كتب أحمد بن مبارك السلجماسي المغربي كتاباً سماه (الإبريز) زعم أنه ينقل ما فيه عن شيخه عبدالعزيز الدباغ المغربي أيضـاً، وهـذا الشـيخ أمي جاهـل لم يكن يحفظ حزباً واحداً من القرآن بشهادة تلميذه أحمد بن مبارك، ولكنه مع ذلك كان يستطيع التفريق بين القرآن والحديث بمجرد السماع، بل كان يسـتطيع أيضـاً أن يفرق بين القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي وكل ذلك بالكشف من غـير علم ولا تعليم، وليس كذلك فقط بل كان يسـتطيع أيضـاً أن يفـرق ويعلم صـحيح الحديث من موضوعه وضعيفه فإذا ألقي إليه الحديث علم هل قاله الرسول أو لا ويقول أحمد بن مبارك اختبرتـه في ذلـك فكنت ألقي عليـه الحـديث من الجـامع الصغير للسيوطي فما قال فيه السيوطي صحيح كان يقول الشـيخ عنـه صـحيح وما قال فيه موضوع يقول موضوع دون أن يتلقى هذا بالعلم وإنما بالكشف فقط بل كـان يعـرف إن كـان الحـديث في البخـاري أو مسـلم أو فيهمـا أو انفـرد فيـه أحدهما.. الخ.. ولم يكن هذا هو كل علم عبدالعزيز الدباغ بل كـان يعـرف معـاني القرآن كلها وتفسيره البـاطني وعلم الحـروف المقطعـة في القـرآن. بـل وكـان يعلم جميع الكتب المنزلة على جميع الأنبيـاء ويعلم تفاسـيرها ومعانيهـا. ولم يكن هذا فقط هو علم الدباغ أستاذ أحمـد بن مبـارك المزعـوم بـل كـان يعلم مـا في اللوح المحفوظ كله من المقادير. بل كان كل هذا الذي لا يحفظ حزباً من القرآن بشهادة تلميذه لا تغيب عنه ذرة في الأرض ولا في السماء، وأنه هو الغوث الأكبر المتحكم في العالم العلوي والسفلي والوارث للحقيقة المحمدية.

والحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي هو الله المستوي على العـرش كمـا قـال ابن عـربي: "الحقيقـة المحمديـة هي الموصـوفة بالاسـتواء على العـرش" (أهـل التصرف في الفكر الصوفي هم أهل الديوان الذين يتحكمـون في المقـادير وهـو الغوث والأقطاب الأربعة)، المهم أن أحمد بن مبارك يزعم فيما يـزعم أن شـيخه

الأكبر وهو رئيس الديوان الصوفي وأنه استفاد منه علوماً جمة من بعضها كتابه الإبريز.

وسيجد القارئ جانباً كبيراً من هذه العلوم في الفصل الخاص بالديوان الصوفي لأن الدباغ هذا وصف ما سماه بالديوان الصوفي وصفاً عجيباً.. والمهم هنا أن ننقل بعض كشوفات الدباغ..

قال أحمد بن مبارك: "وسمعته رضي الله عنه يقول:

إن في كل مدينة من المدن عدداً كبيراً من الملائكة مثل السبعين ملكاً أو أقل أو أكثر يكونون عوناً لأهل التصوف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي؛ قال رضي الله عنه وهؤلاء الملائكة الذين يكونون موجودين في المدن يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقاك في صورة خواجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقير(أي صوفي أو شحاذ)، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسون في الناس ولكنهم لا يشعرون" أ.هـ (الإبريز ص164،165).

فانظر هذا الكشف العجيب؛ الملائكة تنزل إلى الأرض تأتمر بأمر الصوفية وهو على أشكال الخواجات والشحاذين والأطفال..

فإذا رأيت خواجة فلا تزعجه في الطريق ولا تنظر إليه شذراً فربما كان ملكاً من ملائكة الله نزل لتنفيذ أوامر مشايخ الصوفية..

2- تاريخ بناء الأهرام عن طريق الكشف:

الكشف الصوفي لم يترك شيئاً إلا حاول الدخول فيه وإليه؛ من ذلك تاريخ بناء الأهرام التي بناها خوفو الفرعون قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو أربعة آلاف سنة ولكن بالكشف الصوفي يقول ابن عربي: "بلغنا أنه وجد مكتوباً بالقلم الأول على الأهرام أنها بنيت والنسر الطائر في الأسد، وهو الآن في الجدي"..

قال عبدالوهاب الشعراني تعليقاً على كلام ابن عربي "ومعلوم أن النسر الطائر لا ينتقل من برج إلى غيره إلا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبدالكريم الجيلي، وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثلاثمائة ألف سنة" أ.هـ (الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر ص9).

وعلى الكشف الصوفي هذا يصبح عمر الأهرام حسب تخريفاتهم أكثر من 295 مائتين وخمسة وتسعين ألف سنة فقط من عمرها الحقيقي.

3- الدباغ يكتشف نبياً جديداً اسمه هويد..

قال أحمد بن مبارك في كتابه الإبريز:

"ومما قاله رضي الله عنه في نسب هود محصلة كشف وعيان فإنه أمي لا يعرف تاريخاً، ولا غيره فلا ينبغي لأحد أن يعارضه بما قال أهل التاريخ في نسب هود لأنه مبني على خبر الواحد، ومع ذلك فقد اضطرب في خبر الواحد في نسب هو فقيل نسبه هود بن عبدالله بن رباح بن الجارود بن عماد بن عوض بن آدم بن سام بن نوح، وقيل هو هود بن شارخ بدار فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فهو على هذا ابن عم أبي عماد دائماً جعل من عاد وإن لم يكن منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف لحاله وأرغب في اقتفائه.. قال رضي الله عنه: وأما عاداً الأولى فكانوا قبل نوح عليه السلام وأرسل الله لهم نبياً يسمى (هويد) وهو رسول

مستقل بشرعه بخلاف هود الذي أرسل إلى عاد الثانية فإنه مجدد لشرع من قبله من المرسلين. قال: وكل رسول مستقل فلا بد أن يكون له كتاب. قال: ولسيدنا (هويد) المذكور كتاب وأنا أحفظه كما أحفظ جميع كتب المرسلين. فقلت له وتعدها. قال أحفظها ولا أعدها اسمعوا مني. ثم جعل يعدها كتاباً كتاباً، قال: (أي الدباغ) ولا يكون الولي ولياً حتى يؤمن بجميع هذه الكتب تفصيلاً ولا يكفيه الإجمال فقلت هذا لسائر الأولياء المفتوح عليهم فقال: بل لواحد فقط وهو الغوث فاستفدت منه في ذلك الوقت أنه رضي الله عنه هو الغوث وعلومه دالة على ذلك فإني لو قيدت جميع ما سمعت منه لملأت أسفاراً، وكم من مرة يقول جميع كلامي معكم على قدر ما تطيقه العقول" أ.هـ (الإبريز ص103-104).

وليس هناك من تعليق على مثل هذا الهراء إلا أن يقول المسلم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك..

وانظر بعد ذلك تتمة هذه الفتوح الدباغية كيف أنه اكتشف أيضاً بطريقة الكشف أن بين نوح وآدم سبعين رسولاً لم يقص الله تعالى في القرآن شيئاً من قصصهم ولكن عبدالعزيز الدباغ عرفهم بطريق الكشف..

قال أحمد بن مبارك تلميذ الدباغ: (وسمعته) رضي الله عنه يقول كان قبل نوح سبعمائة رسول من الأنبياء وفي قصصهم من العجائب الكثيرة وإنما لم يقصص علينا في كتابه العزيز منها شيئاً لعدم اشتهار أهلها في أزمنة الوحي فقلت فما معنى قوله في حديث الشفاعة في صفة نوح وأنه أول الرسل فقال رضي الله عنه المراد أنه أول الرسل إلى قوم كافرين ومن قبله من المرسلين أرسلوا إلى قوم عقيدتهم صحيحة فقلت فلم عوقب قوم هويد بالحجارة والنار إذا كانوا مؤمنين فقال رضي الله عنه كانت عادته تعالى مع القوم الذين قبل نوح أن يهلكهم على ترك أكثر القواعد وإن كانوا على العقائد" أ.هـ (الإبريز ص104).

فانظر كيف اكتشف الدباغ سبعين رسولاً قبل نوح وكيف أن الله أهلكهم ليس على الشرك والكفر ومعاندة الرسل بل على المعاصي فقط..

4- الأولياء أكثرهم أميون.

الدباغ يفضل نفسه على إبراهيم الدسوقي:

ولا عجب بعد ذلك إذا علمنا أن أهل هذه الكشوف المزعومة في غالبهم أميون كعبدالعزيز الدباغ الذي روى عنه أو افترى عليه أحمد بن مبارك كان رجلاً أمياً، وشيخ عبدالوهاب الشعراني وهو الخواص كان أمياً كذلك واسمع ما يقول أحمد بن مبارك عن شيخه الأمي الدباغ.

"وسمعته رضي الله عنه يقول مرة أخرى السماوات والأرضون بالنسبة إلى كالموزونة (الموزونة: عملة مغربية) في فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائماً رضي الله عنه وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أمياً فقلت فمن أين تعرفهم فقال رضي الله عنه أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي الله عنه لو عاش سيدي إبراهيم الدسوقي من زمنه إلى زماننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى

أخوك عبدالعزيز يعني نفسه من أمس إلى اليوم والله ما قاله أخوك افتخاراً وإنما قاله تعريفاً وتحدثاً معكم بالنعمة" أ.هـ (الإبريز ص168)..

ونسأل ما فيه البرزخ هذه التي تجتمع فيها أرواح الصوفية..

ولماذا لا يختار الله لولايته -في زعمهم- إلا أميين علماً بأنه سبحانه وتعالى فضل أهل العلم والعلماء وما كان اختياره للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمياً إلا ليقيم به الحجة على عباده وحتى لا يتهم بأنه أتى بالقرآن من عند نفسه كما قال تعالى: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون} (العنكبوت:48).

وأما بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضل الله علماء هذه الأمة على أهل الجهالة منها، وجعل تعلم العلم بالكتابة والقراءة والسماع والأسباب الأخرى البشرية المؤدية لذلك.. وليس بطريقة الغيب لأن هذا الطريق خاص بالأنبياء رضوان الله عليهم وما سوى النبي الصادق فمتنبئ كاذب وهذا هو حال هؤلاء المساكين الذين استحوذ عليهم الشيطان فراحوا يهيمون في أودية الضلال على هذا النحو المهين.

5- الدباغ يكتشف سر ليلة القدر:

ولم يكتف الدباغ بكشوفاته في الأرض فراح يكتشف السماء أيضاً وأتى لنا بهذه الحكاية العجيبة عن سرّ ليلة القدر.

قال تلميذه أحمد بن مبارك..

"ثم ذكر لنا رضي الله عنه سبب ليلة القدر فقال إن العالم قبل خلق النور في حرم الشمس كان مظلماً والملائكة عامرون له أرضاً وسماء وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالم بها أصبحت ملائكة السماء وملائكة الأرض وخافوا من خراب العالم ومن أمر عظيم ينزل بهم فنزل ملائكة السماء إلى الأرض وجعل ملائكة الأرض يفرون من الضوء إلى الظل أي من ضوء النهار إلى ظل الليل فراراً من الضوء الذي لم يعرفوه إلى الظل الذي يعرفونه خائفين متضرعين مجتمعين على الابتهال إلى الله تعالى والتضرع له والخوف منه يطلبون منه الرضا ويلجأون إليه في أن لا يسخط عليهم ولم يكن في ظنهم ألا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم فاجتمعوا على التضرع والابتهال على الصفة السابقة مقدرين في كل لحظة وقوع ما خافوه.

فإذا زاد إليهم الضوء فروا عنه إلى الظل ولم يزالوا على تلك الحالة والضوء ينسخ الظل وهم يفرون إلى أن طافوا الأرض كلها ورجعوا إلى الموضع الذي بدأوا منه فلما لم يروا شيئاً وقع حصل لهم الأمن ورجعوا إلى مراكزهم يجتمعون من كل عام فهذا هو سبب ليلة القدر" أ.هـ (الإبريز ص165).

فهل علمتم ما سر ليلة القدر يا مسلمون..

6- طبال ومغفل من أهل الكشف.

وبعض الناس قد يظنون أن هذا الكشف لا يأتي إلا لأناس عقلاء من أهل التقوى والاتزان ولكن الصوفية يقررون غير ذلك فهذا أحمد بن مبارك يحكي عن شيخه الدباغ بأن الفتح جاء إلى رجل وهو طبال، يقول:

"وأعرف رجلاً بالرملة من أرض الشام فتح الله عليه وهو بحالة يتضاحك الناس عليه، كحالة الرجل المشهور بمدينة فاس (بمعيزو) (مدينة في المغرب)، فبقي على حاله بعد الفتح ولم ينتقل عنها. قلت: وكانت حالة المتقدم أن الصبيان وغيرهم من ضعفة العقول يتبعونه طول النهار يضحكون عليه، وقال (رضي الله عنه) وأعرف رجلاً آخر فتح الله عليه وكان قبل ذلك طبالاً فبقي على حالته قبل الفتح ولم ينتقل عنها" أ.هـ (الإبريز ص198). أي ظل طبالاً كما هو وظل الفتح الصوفي ينزل عليه ولا عجب عند الصوفية في ذلك فالولاية عندهم ليست مسألة كسبية ينالها المسلم بتقوى الله ومخافته ومحبته والسعي إلى مرضاته. بل هي مسألة يقولون –وهبية- تنال الشخص هبة له من الله وإن لم يكن هناك من الأسباب والدواعي ما يستند عليها ففضل الله عندهم وحسب زعمهم لا حرج عليه فقد يصيب الطبالين أو الزمارين، وقد يكون الولي سكيراً أو زنديقاً، أو طفلاً صغيراً، أو مجذوباً شاهد الأنوار العلوية فضاع عقله أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً ويحدث الناس بأمور الغيب، ويشاهد ويطالع الحضرة الإلهية والرسولية، والخضرية (نسبة إلى الخضر) وهكذا قلبوا كل موازين العلم، وكل قوانين الشريعة، فالولاية لا شك أنها منحة إلهية وتفضيل وفضل رباني ولكنها لا تنال إلا محلها ممن كان عنده الاستعداد لذلك ومن سعى لنيل درجات القرب من الله سبحانه وتعالى كما جاء في حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه:

[من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء إلي أحب مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه]، فجعل الله للولاية طريقاً وهو أداء الفرائض أولاً ثم الإكثار من النوافل حتى يصل المسلم إلى مرحلة القرب من الله سبحانه وتعالى، فيحمي الله سمعه وبصره ويده ورجله، ويجعل ذلك كله في طاعته ومحبته ومرضاته.

ولكن الولاية والفتح والكشف الصوفي بغير ذلك ينال كل هؤلاء..

7- الوحي الصوفي لا ينزل إذا كان أحد المنكرين حاضراً:

ومما يدلك يقيناً على أن هذا الكشف الصوفي ما هو إلا إلقاء شيطاني هذه الحكاية التي يرويها أحمد بن مبارك أيضاً عن شيخه الدباغ وأنه كان إذا حضر رجل من أهل التوحيد والإيمان الصحيح ممن لا يؤمن بهذه الخرافات كان وحي الشيخ ينقطع ويعود جاهلاً كما كان لا يتكلم الكلمة.

"(قال رضي الله عنه) وما مثلت الولي مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل. فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشر عيناً وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة (قلت) وقد شاهدت هذا المعنى في الشيخ رضي الله عنه مراراً فإذا حضر بين يديه بعض من لا يعتقده لا تخرج منه ولا فائدة واحدة ولا يقدر على التكلم بشيء من العلوم اللدنية والمعارف الربانية حتى يقوم ذلك الشخص ويوصينا ويقول إذا حضر مثل هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم وكنا قبل الوصية جاهلين بهذا الأمر فنسأل الشيخ ونريد أن نستخرج منه النفائس والأسرار الربانية كي يسمعها الرجل الحاضر فيتوب فإذا سألناه رضي الله عنه حينئذ وجدناه كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا فكأن العلوم التي تبدو منه لم تكن له على بال أبداً حتى ذكرنا له السبب ففهمنا السر والحمد لله رب العالمين" أ.هـ (الإبريز ص169).

وليس ذلك بالطبع إلا لأن الشيطان يهرب إذا رأى من يؤمن بالله حقاً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: [والله ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك]. وهؤلاء الصوفية لا يأتيهم في مكانهم موحد إلا انتهت أحوالهم واضمحلت أنوارهم المزعومة وانفض سامرهم الشيطاني.

8- تقديم مذهب أبي حنيفة على سائر مذاهب الفقهاء بطريق الكشف:

ولعل من أطرف ما تدخل فيه الكشف الصوفي أيضاً تفضيل مذهب فقهي على مذهب آخر كما فعل أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي الحنفي، كما في النص الآتي الذي يفسر فيه أيضاً قول محمد بارسا أن المسيح عليه السلام إذا نزل يحكم بالمذهب الحنفي يقول:

"ومثل أرواح الله (يعني المسيح عليه السلام) مثل الإمام الأعظم الكوفي (أبو حنيفة رحمه الله) فإنه ببركة الورع والتقوى وبدولة متابعة السنة نال في الاجتهاد والاستنباط درجة عليا بحيث يعجز الآخرون عن فهمه ويزعمون مجتهداته بوساطة دقة المعاني مخالفة للكتاب والسنة ويسمون أصحابه أصحاب الرأي كل ذلك لعدم الوصول إلى حقيقة علمه ودرايته وعدم الإطلاع على فهمه وفراسته إلا أن الإمام الشافعي وجد نبذة من دقة فقاهته عليهما الرضوان حيث قال الناس كلهم عيال في الفقه لأبي حنيفة فويل لقاصري النظر على جراءتهم حيث ينسبون قصورهم إلى الغير (المنتخبات من المكتوبات لأحمد الفاروقي طبع استانبول ص149،150):

لو عابهم قاصر طعناً بهم صفها	برأت ساحتهم عن أفحش الكلم
هل يقطع الثعلب المحتال سلسلة	قيدت بها أسد الدنيا بأسرها

ويمكن أن يكون ما قاله الخواجة محمد بارسا قدس عمره في الفصول الستة من أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يعمل بعد النزول بمذهب الإمام أبي حنيفة بوساطة هذه المناسبة التي له رضي الله عنه بحضرة روح الله عليه السلام يعني أن اجتهاد روح الله يكون موافقاً لاجتهاد الإمام الأعظم لا أنه يقلد مذهبه فإن شأنه عليه السلام أعلى وأجل من أن يقلد علماء الأمة. ونقول من غير شائبة تكلف وتعصب: إن نورانية المذهب الحنفي ترى وتظهر في النظر الكشفي كالبحر العظيم وسائر المذاهب تظهر مثل الحياض والجداول" أ.هـ منه بلفظه (الإبريز ص150).

الفصل العاشر

المعراج الصوفي

كثيرون من رجال التصوف ادعوا أنهم قد عرج بهم إلى السماوات العلى. فمنهم عبدالكريم الجيلي وقد ذكرنا بعضاً مما زعم مشاهدته في السماوات وذلك في باب الكشف الصوفي وقد سبق الجيلي من زعم مثل هذا، ويبدو أن أول من افترى ذلك هو أبو يزيد البسطامي الذي جعل لنفسه معراجاً كمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم وراح يحدثنا كيف أنه عرج بروحه إلى السماوات سماءً سماءً وأن بغيته كانت في الفناء في الله، أو على حد قوله البقاء مع الله إلى الأبد.

وهذه هي الفكرة البرهمية الوثنية نفسها في الفناء في الذات الإلهية حسب زعمهم.

ولكن البسطامي أول من افتري له أو عليه ذلك. يدعي أنه عرج به إلى السماء السابعة فالكرسي، فالعرش، وأن الله قال له: إلي إلي، وأجلسه على بساط قدسه وقال له: (يا صفي ادن مني واشرف على مشارف بهائي، وميادين ضيائي واجلس على بساط قدسي.. الخ)، وهذا هو نص المعراج الكاذب المنسوب إلى أبي يزيد البسطامي.

"في رؤيا أبي يزيد: في القصد إلى الله تعالى وبيان قصته:

قال أبو القاسم العارف، رضي الله عنه: اعلموا معاشر القاصدين إلى الله سبحانه وتعالى أن لأبي يزيد حالات ومقامات لا تحتملها قلوب أهل الغفلة وعامة الناس، وله مع الله أسرار لو اطلع عليها أهل الغرة لبهتوا فيها، وإني نظرت في كتاب فيه مناقب أبي يزيد، فإذا فيه أشياء من حالاته وأوقاته وكلامه، ما كلت الألسن عن نعته وصفته، فكل من أراد أن يعرف كماله ومنزلته فلينظر إلى نومه ورؤياه التي هي أصح في المعنى، وأقرب في التحقيق من يقظة غيره، فهذا ما حكى أن خادم أبي يزيد رضي الله عنه قال: سمعت أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول: إني رأيت في المنام كأني عرجت إلى السماوات قاصداً إلى الله، طالباً مواصلة الله سبحانه وتعالى، على أن أقيم معه إلى الأبد، فامتحنت بامتحان لا تقوم له السماوات والأرض ومن فيهما، لأنه بسط لي بساط العطايا نوعاً بعد نوع، وعرض علي ملك كل سماء، ففي ذلك كنت أغض بصري عنها، لما علمت أنه بها يجربني، فكنت لا ألتفت إليها إجلالاً لحرمة ربي، وكنت أقول في ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، قال فقلت له: رحمك الله صف لي مما عرض عليك من ملك كل سماء قال: رأيت في المنام كأني عرجت إلى السماوات، فلما أتيت إلى السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر، فنشر جناحاً من أجنحته، فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي انتهائي إلى صفوف الملائكة، وهم قيام متحرقة أقدامهم في النجوم يسبحون الله بكرة وعشياً، فسلمت عليهم، فردوا علي السلام، فوضعني الطير بينهم ثم مضى فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم، وأحمد الله تعالى بلسانهم وهم يقولون: هذا آدمي لا نوري إذ لجأ إلينا وتكلم معنا، قال: فألهمت كلمات، وقلت: باسم القادر على أن يغنيني عنكم، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن من نعته وصفته، فعلمت أن ربها يجربني، ففي ذلك كنت أقول: مرادي غير ما تعرض علي، فلم ألتفت إليها إجلالاً لحرمته، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثانية فإذا جاءني فوج فوج من الملائكة ينظرون إلي كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها، ثم جاءني رأس الملائكة اسمه لاويد (اسم فارسي جعله اسماً من أسماء الملائكة)، وقال: يا أبا يزيد، إن ربك يقرئك السلام، ويقول: أحببتني فأحببتك. فانتهى بي إلى روضة خضرة فيها نهر، يجري حولها ملائكة طيارة، يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة ألف مرة، ينظرون إلى أولياء الله، وجوههم كضياء الشمس، وقد عرفوني معرفة الأرض، أي في الأرض، فجاؤوني وحيوني، وأنزلوني على شط ذلك النهر، وإذا على حافيته أشجار من نور، ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء، وإذا على كل غصن منها وكر طير، أي من الملائكة، وإذا في كل وكر ملك ساجد، ففي كل ذلك أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، كن لي يا عزيزي جاراً من جميع المستجيرين وجليساً من المجالسين، ثم هاج من سري شيء من عطش نارياق، حتى إن الملائكة مع هذه الأشجار، صارت كالبعوضة في جنب همتي، وكلهم ينظرون إلي متعجبين مدهوشين من عظم ما يرون مني.

ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، فلم ألتفت إليه إجلالاً لحرمة ربي، وكنت أقول: يا عزيزي مـرادي غـير مـا تعـرض علي، فلمـا علم اللـه تعـالى من صـدق الإرادة في القصـد إليـه، وتجردي عما سواه، فإذا أنا بملك قد مد يده فجذبني، ثم رأيت كأني عـرجت إلى السـماء الثالثـة، فـإذا جميـع ملائكـة اللـه تعـالى بصـفاتهم ونعـوتهم قـد جـاؤوني يسلمون علي، فإذا ملـك منهم لـه أربعـة أوجـه: وجـه يلي السـماء، وهـو يبكي لا تسكن دموعه أصلاً ، ووجه يلي الأرض ينـادي: يـا عبـاد اللـه اعلمـوا يـوم الفـراغ (لعلها الفزع)، يوم الأخذ والحساب، ووجه يلي يمينه إلى الملائكة يسـبح بلسـانه، ووجه يلي يساره يبعث جنوده في أقطار السـماوات يسـبحون اللـه تعـالى فيهـا، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ثم قال: من أنت؟ إذ فضلت علينـا، فقلت: عبـد قد منّ الله تعالى عليه من فضله، قال: تريـد أن تنظـر إلى عجـائب اللـه؟ قلت: بلى، فنشر جناحاً من أجنحته، فإذا على كل ريشة من ريشـه قنـديل أظلم ضـياء الشمس من ضيئها، ثم قال: تعال يا أبا يزيد، واسـتظل في جنـاحي، حـتى نسـبح الله تعالى ونهلله إلى الموت، فقلت له: الله قادر على أن يغنيـني عنـك، ثم هـاج من سري نور من ضـياء معرفـتي أظلم ضـوءها: أي ضـوء القناديـل من ضـوئي، فصار الملك كالبعوضة في جنب كمـالي، ثم لم يـزل يعـرض علي من الملـك مـا كلت الألسـن عن نعتـه، ففي ذلـك علمت أنـه بهـا يجربـني، فلم ألتفت إلى ذلـك إجلالاً لحرمته، وكنت أقول في ذلك: يا عزيزي مرادي غير مـا تعـرض علي، فلمـا علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مد يـده فرفعـني ثم رأيت: كأني عرجت إلى السماء الرابعة، فإذا جميع الملائكة بصفاتهم وهيئاتهم ونعوتهم قد جاؤوني يسلمون علي، وينظرون إلي كما ينظر أهـل البلـد إلى أمـير لهم في وقت الدخول، يرفعون أصـواتهم بالتسـبيح والتهليـل من عظم مـا يـرون من انقطاعي إليه، وقلة التفاتي إليهم، ثم استقبلني ملك يقـال لـه: نيائيـل، فمـد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطئ بحر عجـاج، لا تـرى أوائلـه ولا أواخره، فألهمت تسبيحه وانطلقت بلسـانه، ولم ألتفت إليـه، ثم لم يـزل يعـرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته، ففي كل ذلـك علمت أنـه بهـا يجربـني، فلم ألتفت إليه إجلالاً لحرمته، وكنت أقول يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض علي: فلما علم الله تعالى مني صدق الانفراد به في القصد إليه، فإذا أنا بملك مـد يـده فرفعني إليه ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الخامسة، فـإذا أنـا بملائكـة قيـام في السـماء رؤوسـهم في عنـان السـماء السادسـة يقطـر منهم نـور تـبرق منـه السماوات، فسلموا كلهم علي بـأنواع اللغـات، فـرددت عليهم السـلام بكـل لغـة سلموا علي، فتعجبوا من ذلك، ثم قالوا: يا أبا يزيد: تعال حتى تسـبح اللـه تعـالى وتهلله ونعينك على ما تريد، فلم ألتفت إليهم من إجلال ربي، فعند ذلـك هـاج من سري عيون من الشوق، فصار نور الملائكة فيمـا التمـع مـني كسـراج يوضـع في الشمس، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسـن عن نعتـه، ففي كـل ذلك علمت أنه بها يجربني، وكنت أقول يا عزيزي، مـرادي غـير مـا تعـرض علي، فلما علم الله تعالى مني صـدق الإرادة في القصـد إليـه فـإذا أنـا بملـك مـد يـده فرفعني إليه، ثم رأيت كـأني عـرجت إلى السـماء السادسـة، فـإذا أنـا بالملائكـة المشـتاقين جـاؤوني يسـلمون علي ويتفخـرون بشـوقهم إلي، فـافتخرت عليهم بشيء من طيران سري، ثم لم يزل يعرض علي من الملك مـا كلت الألسـن عن نعتـه، ففي كـل ذلـك علمت أنـه بهـا يجربـني، فلم ألتفت إليـه، وكنت أقـول: يـا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي. فلما علم اللـه تعـالى مـني صـدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مـد يـده فرفعـني، ثم رأيت كـأني عـرجت إلى السـماء السابعة، فإذا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني. كل صف مثل الثقلين ألـف

ألف مرة، مع كل ملك لواء من نور، تحت كل لواء ألف ألف ملك، طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام، وكل على مقدمتهم ملك اسمه بريائيل، فسلموا علي بلسانهم ولغتهم، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك، فإذا مناد ينادي: يا أبا يزيد: قف قف؛ فإنك قد وصلت إلى المنتهى، فلم ألتفت إلى قوله ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، وكنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي، فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في مقصدي إليه صيرني طيراً، كأن كل ريشة من جناحي أبعد من الشرق إلى الغرب ألف ألف مرة، فلم أزل أطير في الملكوت، وأجول في الجبروت، وأقطع مملكة بعد مملكة، وحجباً بعد حجب، وميداناً بعد ميدان، وبحاراً بعد بحار، وأستاراً بعد أستار، حتى إذا أنا بملك المرسى استقبلني، ومعه عمود من نور، فسلم علي ثم قال: خذ هذا العمود، فأخذته فإذا السماوات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي، واستضاء بضياء شوقي، والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتي في القصد إليه، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، فلم ألتفت إليها إجلالاً لحرمة ربي الله تعالى.

ثم لم أزل أطير وأجول مملكة بعد مملكة، وحجباً بعد حجب، وميداناً بعد ميدان، وبحاراً بعد بحار، وأستاراً بعد أستار، حتى انتهيت إلى الكرسي، فإذا قد استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السماوات، يبرق من كل عين نور تلمع منه، فتصير تلك الأنوار قناديل، أسمع من جوف كل قنديل تسبيحاً وتهليلاً، ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من نور تلاطم أمواجه يظلم في جنبه ضياء الشمس، فإذا على البحر سفن من نور، يظلم في جنب نورها أنوار تلك الأبحر، فلم أزل أعبر بحاراً بعد بحار حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن، فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما من العرش إلا الثرى من الملائكة الكروبيين وحملة العرش، وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى في السماوات والأرض، أصغر من حيث طيران سري في القصد إليه، من خردلة بين السماء والأرض، ثم لم يزل يعرض علي من لطائف بره وكمال قدرته وعظم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته، ففي كل ذلك كنت أقول: يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض لي، فلم ألتفت إليه إجلالاً لحرمته فلما علم الله سبحانه وتعالى من صدق الإرادة في القصد إليه فنادى: إلي إلي، وقال: يا صفي ادن مني، وأشرف على مشرفات بهائي، وميادين ضيائي، واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي في آنائي، أنت صفيي وحبيبي، وخيرتي من خلقي، فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص، ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الأنس، ثم صيرني إلى حال لم أقدر على وصفه، ثم قربني منه، وقربني حتى صرت أقرب منه من الروح إلى الجسد، ثم استقبلني روح كل نبي يسلمون علي ويعظمون أمري ويكلمونني وأكلمهم، ثم استقبلني روح محمد صلى الله عليه وسلم، ثم سلم علي، فقال: يا أبا يزيد: مرحباً وأهلاً وسهلاً، فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلاً، إذا رجعت إلى الأرض اقرأ لأمتي مني السلام، وانصحهم ما استطعت، وادعهم إلى الله عز وجل، ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين، وبقي الحق بلا كون ولا بين ولا أين ولا حيث ولا كيف، جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قال أبو القاسم العارف رضي الله عنه: معاشر إخواني عرضت هذه الرؤيا على أجلاء أهل المعرفة فكلهم يصدقونها ولا ينكرونها، بل يستقبلونها عند مراتب أهل الانفراد في القصد إليه، ثم يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن العبد لا يزال من الله والله منه ما لم يجزع فإذا جزع وجب عليه العتاب

والحساب) وروي أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم (أن من العلم كهيئة المخزون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة بالله) أ.هـ منه بلفظه (ملحق رقم (2) لكتاب المعراج منقول من مخطوطة حيدر آباد بعنوان القصد إلى الله).

معراج اسماعيل بن عبدالله السوداني:

ذكرنا في باب الكشف الصوفي ما افتراه عبدالكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل فيما زعمه أنه عرج به إلى السماوات ورأى هنالك الملائكة والأنبياء وكلمهم واستفاد منهم فوائد، وأفادهم كذلك فوائد فيما زعمه، وقد نقلنا في ذلك الباب نقولاً مستفيضة مما كذبه، وقد جاء من نسج على منوال الجيلي تماماً وكتب كتاباً يكاد يكون نسخة منه وهو إسماعيل بن عبدالله السوداني والذي ألفه سنة 1261هـ أي منذ مائة وسبع وثلاثين سنة تقريباً وسماه (مشارق شمس الأنوار ومقارب حسها في معنى العلوم والأسرار).

وقد سلك إسماعيل بن عبدالله السوداني هذا مسلك الجيلي نفسه حيث زعم أنه عرج به إلى السماء سماء سماء. والعجيب أنه جعل هذه السماوات هي الكواكب السبعة التي كانت معروفة في ذلك الوقت (القمر، والزهرة، والمشتري، والمريخ، وعطارد، وزحل). والتي كان يظن قديماً أنها هي السماوات السبع فجعل لكل سماء من هذه (روحانية) كما يعتقده الصابئة عبدة النجوم، وشوه معراج الرسول صلى الله عليه وسلم فنقل منه أسماء الأنبياء والرسل الذين التقى بهم الرسول في معراجه، فزعم إسماعيل هذا أنه التقى بهم أيضاً وأفادوه وباركوه واحتفلوا بمجيئه إليهم، وأنه شاهد بعد ذلك العرش والكرسي وسدرة المنتهى، والملائكة الذين لم يسجدوا لآدم تماماً كما زعم الجيلي من قبله مكذباً بذلك القرآن حيث يقول سبحانه وتعالى: {ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين} ويبدو أنه لم يقرأ هذه الآية قط واكتفى بقراءة كتاب الجيلي ونقل عنه مشاهداته وزعمها لنفسه وجعلها كشفاً خاصاً به هو..

وهذا هو شأن مشايخ التصوف ينقل بعضهم عن بعض نفس الدعاوي التي يدعيها من قبله فإذا قال أحدهم أنا خاتم الأولياء قال من بعده بل أنا خاتم الأولياء، وإذا قال أحدهم رفعني الله وأجلسني عنده وأعطاني وقربني جاء من يدعي هذه الدعاوي ويزيد على ذلك وهكذا. وهأنذا أنقل فقرات من هذه الأكاذيب المفتراة التي افتراها إسماعيل بن عبدالله السوداني: قال:

"المغرب السابع

في عين العروج إلى السماء السادسة

اعلم أيها الابن البار المبرور والمهدي إلى طريق الملك الغفور أن العبد إذا طرح جميع الأكوان العارضة له في السماء الخامسة في حالة عروجه إلى حضرة الرحمن فإن الرب الكريم يصلح له السريرة ويحد له عين البصيرة فيعرج منها إلى السماء السادسة فيجد البواب فيسلم عليه فيرد عليه السلام ويرحب به، ويفتح له الباب.

فافهم يا بني فإنه يدخل فينظر ما فيها من الغرائب ويتعجب من تلك العجائب فإن هذه السماء فيها من الكواكب المشتري ولونها في غاية السواد قد يرى وهو جوهر شفاف من بديع الصنائع على الاستواء من غير اختلاف ودورها أوسع يزيد على دور سماء المريخ بألفين عام ومائتين سنة وثلاثة وثلاثين سنين (كذا والصواب: بألفي عام، ومئتي سنة وثلاث سنين!) وأربعة أشهر، وفيها نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (هكذا).

نفائس حقية من علوم ذوقية:

فنقول بحسب كشفنا، فإن العبد الراقي إلى تلك المراقي إذا وصل إلى هذه السماء يرى نفسه مغيباً في أنوار القدس موشحة بأنوار الهيبة والأنس حوله جملاً من ملائكة الرحمن ناطقاً بغميض الأسرار والعلوم معهم في حالة عروجه إلى حضرة الملك الديان. فيرى ملائكة هذه السماء متنوعة من عدة أصناف، فيهم ملائكة الرحمة الألطاف، يدرون ملائكة هذه السماء في هذه الأرض لرفع الوضيع وزيادة الرفيع، منهم من وكله الله تعالى بإيصال الرزق إلى المرزوق، ووكل غيرهم بما اقتضته الحكمة بين الخالق والمخلوق..

وقد اجتمعت بالملك الحاكم عليهم وهو روحانية المشتري (كوكب معروف)، رأيته جالساً على منبر من نور الحكمة ملتحفاً بثوب أصفر من أنوار الهمة، وهم مطيعون له في سره وجهره وممثلون له في جميع نهيه وأمره لا يفعل منهم أحد شيئاً إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بأمره لتنفيذ ما وكل به من شأنه، فسألته عن عدة علوم فأجابني برمز مكتوم ففهمته منه بوساطة مظهر اسم الله القيوم، بفهم لا من حيث مطلق المفهوم فوثبت قائماً وسرت منه بفضل الله تعالى عالماً، فاجتمعت من بعده بنبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته فانياً في الشهود والمكالمات غالباً في أنوار المشاهدات جالساً على كرسي من أنوار الوقار ولونه أصفر مخلوط عليه خطوط مرموزة جامعة لما حواه من الفخار من حضرة الأسرار متأدباً مع استهلاكه مع شهود مولاه، مناجياً له ومستغرقاً في فناه، تجلي الآنية فيحضره إظهار مظاهر الحق في حقيقة سره، إنني أنا الله، فقد عرفته بعدما عرفني فسلمت عليه ورد علي السلام وقربني وانتصب لي قائماً وأهل بي حيث جئته حافظاً ملازمة أدبي، فسألته سؤال من دخل حضرة الأدب وعرف سر البسط والغضب.

فقلت له: يا سيدي بحق من نبأك وزكاك وأورثك هذا المقام وتولاك بأن تجود علي بإجابة مقالي وإفادتي في سؤالي، فإن رسولنا الصادق الكريم بلغنا ما قصه له ربه في الكتاب الحكيم بأنك طلبت رؤية مولاك حيث قلت له: أرني أنظر إليك. فأتاك منه الخطاب حيث قال: لن تراني، فما معنى طلبك له ومجيء هذا الخطاب إليك فاستفدنا عدم حصول الرؤية لك في حالة مجيء الخطاب فشتان ما بين حالتك هذه وحالة أهل الحجاب، فكيف هذا السر، وباطن هذا الأمر؟

فقال لي: يا عبدالله إن السر غريب والأمر عجيب، فافهم أرشدك مولاك وأورثك أسرار علومه وتولاك، فإن ربي حين أمرني بعبادته بمطلق العبودية وعرفني سر ظهور أسراره مظاهره في عمـوم الآنيـة حين أبصـرت نـار سـر دلالـتي ورجـوت إتياني لأهلي بشـعلة منـا كي يصـدقوني بهـا في مقـالتي أو أجـد عليهـا هـدى من ضلالتي، فنوديت بعد إتياني بهـا من جـانب طـور قلـبي بمـا اقتضـت الحكمـة من ربي، يا موسى إني أنا ربك الصادر أمري لك، فاخلع نعليك الكائنتين في عضـويك بأن لا تشرك بعبادتي أحداً ولا يدخلك ريب فيما آمرك به أبداً إنك بالواد الذي هــو فضاء سر الظهـور الظـاهر من ربـك إلى قلبـك من جـانب الطـور المقـدس عن حلـول الأغيـار فيـه، المطهـر لـك حيث اقتضـت الحكمـة بأنـك في هـذا الـوادي المسمى بطوى توافيه، وأنا اخترتك حيث أمرتك فاستمع لمـا يـوحى من الإيحـاء، فلما حققت هذا المقال من حضرة القرب على لسان الحال استعددت إلى تنزله في داخـل قلـبي وفـنيت نفسـي في الاسـتماع لمـا يـوحى إلي من حضـرة ربي، جاءني منه الأمر بالاستفراغ لعبادتـه حيث قـال لي: {إنـني أنـا اللـه لا إلـه إلا أنـا فاعبدني}. فقبلت ذلك وعبدته كما أمرني، فلما صدق الإخلاص مني وحســن في الله ظني أردت بقاء نفسي في مقام لقاه وأيقنت بأن لا إله معبـود بحـق سـواه. فقلت: ربي أرني أنظر إليـك. فمـا طلبت سـوى تجلي الـذات للـذات. وذلـك من أسرار الكبريائية من التجليات، فلما علم الله اسـتحالة بقـاء القـديم في الحـادث وما ثم غيري في هذا المقام محادث. قـال لي: لن تـراني في الحـال بحيث أبقى فيك، لأني قديم وأنت حادث ولكن أنظر إلى الجبـل المسـتقر حولـك إذ تنكشـف لك حقيقة ذلك، فإن استقر مكانه بعد ظهور سـلطاني لـه فسـوف تـراني، فلمـا تجلى ربه للجبل جعله دكـاً وخـر موسـى صـعقا، أي فلمـا ظهـر سـلطان القـديم للجبـل سـاخ في الأرض حيث نـزل وقـد حصـل لموسـى مـا حصـل من الصـعق والوجل. وفي هذا المقام سر لطيف وتعلمت من موسى عليه السلام مائـة ألـف علم من العلوم التي تجول في الأفكار تعذر النطق بها.

ثم تعلمت منه في هذا المشهد علوماً لم يسعني الوقت أن أفشيها فيه، وما أظن أحداً من الأولياء المتقدمين تكلم على حقيقة هذا المشهد على ما هـو عليـه أبـداً إلى وقتنا هذا، وإن تكلم البعض عليه فذلك في شيء منه فلا يسـتطيع أحـد منهم أن يستوفيه لشدة ما رأيته من عظمة حقيقته ورقة دقيقته، وقد اجتمعت برجــال من الأولياء الأكابر حين تقييـدي لهـذا المحـل فوجدتـه لـه معرفـة تامـة في بعض المظاهر من هذا المشهد وقدمـه موسـوي متحقـق بإحـدى وخمسـين اسـماً من أسماء الله الحسنى له تعبير لطيف وبحث ظريف فسألته عن مقامه والذي حازه من علوم هذا المقـام، فـأخبرني بـدقائق من علومـه فحققت أن لـه حظـاً وافـراً وأخبرني أن لما وصل من هذا المقام إلى هذا المحل وجدنا سـيدنا موسـى عليـه السلام.

وسأله فبحث فيه فاستفاد بوسـاطته خمسـة آلاف علمـاً وفي كـل علم أسـرار لا تحصى فلما سألني عن علومي في هذا المشهد وبحثت له في ذروتـه من دقـائق العلوم والأسرار والمظاهر والأنوار غاب عن نفسه غيبة عظيمة حتى خفت عليــه من أن يذوب، فلما صحا تعجبت من ثباتي مـع شـدة التمكين فحمـدت على ذلـك الملك المعين، فلما حققت زيادتي عليه وتمكني في المشـاهد بالـذي ظهـر مـني إليه طلبني اسماً من المخفيات لأجل التبرك فأعطيته ذلك الاسم بـأنواره وعلـوم حضراته وأسراره فانتفع به" (كتاب مشارق شموس الأنوار ص128،131) انتهى منه بلفظه.

ويستطرد إسماعيل بن عبدالله السوداني مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء السابعة فيقول:

"فنقول بحسب كشفنا، قد اجتمعت فيها (أي في السماء السابعة) بجملة من الملائكة فعرفتهم وعرفوني وسألتهم عن علوم لا تحصى، ورأيت فيها كوكباً له توقد من شدة عظمته ولكنه خفي عن أعين الناظرين، لأن معرفته لم تحصل لأحد سوى الكاملين من العارفين أهل الفتح ولم يظفر به إلا أرباب المعارف الراقين ذروة السطح ومن ثم فعلت كيفية حلول زحل في فلكه، وعلم كيفية سيره فيه، وعلم السر الذي وضعه الله فيه وغير ذلك.

واجتمعت في هذه السماء بنبي الله سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته جالساً على منبر من نور أحمر متكئ على نمارق من نور أخضر لائحة على وجهه أنوار المعارف والكمال متوجهاً بتاج أسرار النبوة والأجلال بيده قضيب من سر علوم الكنوز معتقلاً سيف فتق طلاسم الرموز مسنداً ظهره إلى البيت المعمور مشاهداً ما هو له من حضرة الغفور، فلما وصلت إليه وسلمت عليه، رد علي السلام وأكرمني بالقيام إكراماً لنبينا أشرف الأنام فعرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي.." انتهى منه بلفظه (كتاب مشارق شموس الأنوار ص135).

ويستطرد إسماعيل هذا في بيان مشاهداته في السماء السابعة والدعوة إلى طريقته الخاصة قائلاً:

"وفي باطن هذا سر لا أطيق ذكره في هذا الكتاب وفي هذا المشهد سر لطيف ومقام طريف ما تكلم عليه أحد الأولياء المتقدمين إلى وقتنا هذا، وإن أردت التكلم على بعض منه في حين تقييدي لهذا المحل اجتمعت بسيدنا إبراهيم عليه السلام فأشار إلي بتركه وبشرني بمقام كبير أبلغه وأنال به في الآخرة مما لا يعطي لغير المقربين من الكاملين المحبوبين فأنعم به أنا ومن معي من أولادي وإخواني وأصحابي المجدين في طريقتي" أ.هـ (كتاب مشارق شموس الأنوار ص 135).

ويستطرد إسماعيل هذا في بيان مشاهداته المزعومة فيزعم رؤية سدرة المنتهى والعرش والكرسي فيقول:

"فنقول بحسب كشفنا إن العبد الراقي إلى مقام هذه السدرة يراها عظيمة جداً وبها (نويراً خارقاً) ممتداً فيعلم السر الذي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها وعلم السبب الذي ينتهي إليها الصاعد والهابط. ويعلم مقام الملائكة الكروبيين منها ومنازلهم وكيفية حالتهم، فهم على أنواع مضعفة، وحالات مختلفة، فمنهم مدهوش في هويته، ومنهم مستغرق في آنيته، ومنهم واقع على جنبه، ومنهم واقع على وجهه، ومنهم حاث على ركبتيه قد غمروا في أنوار المشاهدات وانفنوا في انطباق تكرر التجليات فلا يستطيع أحد منهم حركة لعدم شعورهم وشدة استغراقهم فيما هم فيه، فهم عالون في الملائكة فما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام ولا سجدوا له قط، وقد اجتمعت بالملك الحاكم عليهم وهو مقدمهمالذي يأتي منه الأمر، والنهي إليهم وينظره من المتقدمين على غيرهم أعمدة النور لأجل تأديب الدون منهم وغيرهم من الآدميين، فسألته عن السر الذي سرى في ذوات هؤلاء الملائكة حتى لازمتهم تلك الحالة، فأفادني بأحسن مقال، ثم سألته عن دقائق العلوم ومن خفي السر المكتوم فأفادني بحول الله وقوته فيها وفي

بعض أمور مما هي من المستور، وقد حزت في هذا المشهد علوماً لم أطق إبداءها ولم أستطع إفشاءها.

ثم نرجع إلى ما كنا في سبيله فنقول: إن من هنا يرقى العبد إلى فلك الكرسي إلى كرسي جبريل عليه السلام، فمن ذلك يعلم حقيقة كل ستر كان وموجبه وسر حقيقته، فيرى عن ذلك أنهاراً جارية فيغترف من أكبرها وينال الشرب من أشهرها، فيحصل له بذلك التحقق بما يحويه من الأسرار التي لا تحصي والعلوم التي لا تستقصي ثم يرقى إلى الفلك المحيط الذي هو العرش.

وهو أول الأفلاك وأعظم السماك، فمن ثم يتضح له مظهر الاسم الرحمن، فهنالك يعلم ما شاء الله تعالى من مناسبة مصاحبة بعض الملائكة والأنبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم، فحينئذ ينظر حملة العرش، ويتعلم من علم السر الذي يحملونه به وكيفية صورهم الباقين بها، وقبل هذا يعرف مظاهر كثيرة، منها ما يتعلق بالأجسام المتغذية، ومنها ما يتعلق بالأرواح، وفي هذا المقام أشياء لا يصح إبداؤها ولا سبيل للتكلم إلى مجاوزة ما فوق ذلك مخافة أن يدعيها أهل الدعاوي المحجوبون الذين لم يصلوا إليها، فالسكوت عنها أولى والتلذذ بمطالعة مشاهدة تجليات صانعها أحلى، والله على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل" انتهى منه بلفظه (كتاب مشارق شموس الأنوار ص140،141).

وبعد كل هذه السخافات والخرافات التي يسرقها إسماعيل بن عبدالله السوداني من عبدالكريم الجيلي وينقلها أحياناً بالنص ولا سيما في ألوان كل سماء، وأن كلا منها كوكب من الكواكب المشهورة يعود فيذكر مشاهداته المزعومة أيضاً في الأرضين السبع.. إلى أسفل سافلين تماماً كما فعل عبدالكريم الجيلي، فيزعم إسماعيل هذا أيضاً أنه طاف بالطبقة الأولى من الأرض وهي أرض في زعمه ناصعة البياض لم يعص فيها الله قط، وأن الفجر يطلع بعد الغروب بمقدار يسير جداً وذلك على حد زعمه في زمن الشتاء.

قلت من يعلم جغرافية الأرض يعلم أن هذا وصف للقطب الشمالي وبياض الأرض هو الثلج الذي يغطيها، وكون الليل يكون نحو ساعة واحدة نعم ولكن هذا لا يحصل في الشتاء كما زعم إسماعيل هذا ولكنه يحدث في الصيف حيث يصبح الليل ساعة والعكس تماماً في الصيف حتى لا يكون بقاء الشمس إلا نحو ساعة أو أقل أحياناً في بعض مناطق القطب..، ولكن هذه المعارف الجغرافية العادية التقطها هؤلاء الشيوخ وجعلوها كشفاً صوفياً لا يتأتى إلا بالمجاهدة المزعومة وبانكشاف حجب القلب، وليتهم إذ نقلوها أيضاً نقلوها صحيحة بل لم يستطيعوا أن يميزوا بين ما عليه هذه المناطق في الصيف والشتاء.

ثم يذكر إسماعيل هذا أن الأرض الثانية مسكونة بالجن وأن ليلهم نهارنا ونهارنا ليل عندهم. وهذا خلط بين معارف الجغرافية وبين أغاليط الصوفية.

وأما الطبقة الثالثة من الأرض فيزعم أنها مسكونة بالجن كذلك (كتاب مشارق شموس الأنوار ص143)، وينتقل هذا الشيخ الصوفي هكذا بين الأرضين المزعومة أرضاً أرضاً يطلعنا على مشاهدته وتخريفاته فيقول مثلاً ففي الأرض السادسة:

"فنقول بحسب كشفنا: إن هذه الطبقة مسكونة بالمردة من الشياطين وهم أقوى حالاً من العفاريت وكل منهم مسلط على إنسان للعداوة السابقة، فكثير يدخلون في حوزهم فلا ترى منهم متحركاً ولا ساكناً إلا قد قيده حكمهم بما اقتضته الحكمة الإلهية بمثابة تقلباتهم ودخولهم على الخلق بالأنواع المختلفة

بحسب أجناسهم، فمنهم من يظهر للآدميين في الخـواطر، ومنهم من يظهـر لهم في عالم المثال لسوقهم إلى غاية الخذلان والضلال إلى غير ذلـك ممـا لا يدركـه على الحقيقة إلا الأولياء أهل الكمال وقد يتكلمون بحسب مـا يـؤذن لهم فيـه من هذه الأبواب والمقامات من العـوالم العلويـات والسـفليات واللـه على مـا نقـول وكيل وهو يهدي السبيل" انتهى (كتاب مشارق شموس الأنوار ص148).

ويستطرد أيضاً فيذكر مشاهداته في الأرض السابعة فيقول:

"نقول بحسب كشفنا: إن هـذه الطبقـة مسـكونة بالحيـات والعقـارب وهي الـتي وردت بها الأخبار من أنها كأمثـال الجبـال وأعنـاق البخت وغـير ذلـك، فـإن العبـد العارف حين يدخل هذه الطبقة يدخله هم شديد مخافة أن يـرى مقامـاً في النـار لبعض أصحابه ومريديه، فحينئذ يتطلع على جميع المقامات فـإذا وجـد مقامـاً في النار لبعض مريديه أو بعض أصحابه سعى في هتكه بالتضرع إلى اللـه تعـالى إلى أن يبدله الله سبحانه وتعالى (له) مقاماً في الجنة.

كما أنه إذا وقف على الفلك الكوكب المسكون بطائفـة من الـذين هم معـدودون في نعم الجنة يتطلع على مقامـات الجنـات، فـإذا رأى مقامـاً من مقامـات بعض أصحابه سعى في رفعته وزيادته، وهذا كله يكون كرامة في الحق الولي العـارف وشـرفاً للوسـاطة الكـبرى والوصـلة الفخـري عين حقـائق السـعود وجنـة نعيم التجليات والشهود سيدنا ومولانا محمد الأسعد عليـه أفضـل الصـلاة والسـلام من البر الأوحد لأن بشرفه على أمثاله شرف أمتـه على سـائر الأمم فـإن الـولي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يطوف على جميع العوالم العلويات والسـفليات ويطلع على مكنون غيب السبع السماوات والسبع طبقات (هكذا والصواب: سـبع السماوات، وسبع الطبقات)، ويعلم منازل أهل الجنة ومنازل أهل النار، وعلم مـا كان وما يكون وما هو كائن وغير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بمـا شـاء، فإنه يعلمهم قدر ما تقتضيه حكمته وتعمهم به رحمتـه بـالوهب والتفضـيل، واللـه على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل" انتهى منه بلفظه (كتاب مشارق شـموس الأنوار ص153).

ولا يكتفي أيضاً بكل هذا الإفـك والتخريـف بـل يـذهب ليطلعنـا أيضـاً على كشـفه المزعوم في بحار العلوم، فيقول:

"وقد اجتمعت مرة في بقعة من ساحل البحـر المحيـط الـذي هـو من وراء جبـل قاف برجل من النقباء أصـفر اللـون مربـوع القامـة كـثيف اللحيـة صـبيح الوجـه، فوجدته فانياً في التجليات، غائباً في أنوار المشـاهدات وقدمـه على قـدم سـيدنا يعقوب عليه السلام، وورده القائم به آخر سورة الحشر، {هو الله الذي لا إلـه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم}.. الخ السورة. وهو مسـقي بثلاثـة عشر اسماً من أسـماء اللـه تعـالى الحسـنى، ولكنـه متحـير في مقامـه، ويطلب التخلص منه فما وجـد لـه سـبيلاً، فسـلمت عليـه، فـإذا هـو في غايـة الاسـتغراق شاخصاً ببصره إلى الطباق، فإنه يشير إلى البحر الذي هـو بسـاحله ففهمت منـه أنه يشتكي إلي بصعوبة تخليصه من هذا المقام، كأنه يقول إن خلاصه منه أصعب حالاً من شراب ماء هذا البحر، لأنه هو البحر الأخضـر، مـاؤه مـر لا يسـتطيع أحـد الشراب منه، لأن الذي يشـرب منـه يهلـك حـالاً من شـدة مرارتـه، فوجـدت بيـد الرجل رمانة مغلوقة وأكلت معه منها، فلما عرفته بوسمه وخاطبتـه باسـمه قلت له ما المقصود؟

قال: مشاهدة الملك المعبود.

فلما عرفني فهمت لغزه وأدركت رمزه، وتحقق أنني مفيده فيما يريده أخذ يطلبني من غير انفكاك عني وصحبني إلى محل بعيد، فأخذت له في المقال وأطلقت له لسان الحال إلى أن شاهدنا الكنوز المستورة تحت قباب الرموز من البحر الأسود الذي انتهى إليه المورد، فإن هذا البحر رسمه معدوم وظاهره مكتوم فلا أستطيع فيه التعبير ولم أتعرض إلى البيان فيه والتفسير فمن ثم أخذ مني بعض أذكار مصاحبة أنواره وانصرف بسبيله إلى مشاهدة دليله، وفي حين تقييدي لهذا المحل اجتمعت معه فوجدته في حال عظيم ومقام فخيم فأخبرني أنه حصلت له مني مفاتحات عظيمة وإمدادات كريمة حين أكلت معه في تلك الرمانة، فحكى لي شيئاً من حاله، ووجدته سقى بخمسة وثلاثين اسماً من أسمائه تعالى، وصار في زيادة بابتهاج طريقه الأعلى. وقد اجتمعت في ساحل البحر الأحمر برجال من أرباب الأحوال لم يزالوا في دلالة المخلوقين إلى طريق معرفة رب العالمين فإذا أمعن ناظرهم فكرة يحقق أنهم ليس لهم اشتغال أبداً بغير هذا، ثم أمور لا سبيل إلى ذكرها بقصور الوقت وضيقه عنها، فانتهج أيها العاقل وكابد في خوض المقامات والمنازل فإن الله تعالى حكيم كريم يورثك من علم سره العظيم أنه واهب جليل والله على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل" انتهى (كتاب مشارق شموس الأنوار ص159،160).

وقد يسأل السائل ما الداعي لكل هذا الكذب والانحراف، وما الذي يدفع هؤلاء إلى كل هذا التخريف والتكلف، هل هم عقلاء أو مجانين وإن كانوا عقلاء فماذا يريدون. وقطعاً لهذه التساؤلات يجيب المؤلف نفسه عن مراده وذلك في آخر كتابه فيقول:

"المغرب التاسع

في عين خاتمة الكتاب

كيفية صفة خلوة للمؤلف وغير ذلك من الأدعية المرجية.

اعلم أيها الابن المجتهد والمحتسب المقتصد، أن كل خير لا ترقى ذروته إلا بجهد النفس وأتعابها فيه، وقد تكلمنا لك فيما تقدم من المجاهدات والمكابدات، وأن الطرق الموصلة إلى الله تعالى لا تحصى، وكل صاحب طريقة أدرى بما فيه الصلاح لمن يسلكها، ولما أنعم الله علي بنيل هذا المقام وجعلني من خواصه الكرام أذن لي في التكلم والظهور وإبداء طريقة أستقبل بها وأسلك بها المريدين لأجل أن يصلوا بها، إلى حضرة الغفور، فحصل الأمر كما أمر واشتهر ذلك واستمر، فلما أذنت من الحضرتين بإظهار كل ما نراه يصلح لأهل طريقتي بلامين وأفاض علي الوهاب بوارد تأليف هذا الكتاب أردت أن أختمه بصفة خلوتي التي تصلح لأهل طريقتي كما فعل قبلي أهل الطرق بنظرهم الذي يصلح لأهل طرائقهم، وجعلت كيفية هذه الخلوة رسالة مستقرة وأفردتها في هذا المغرب لأجل أن يسهل نقلها ونظرها لمن له رغبة فيها، فمن أراد نقل جميع الكتاب فهي من جملته، ومن أراد الاستقلال بها فليفردها منه من أول البسملة إلى حد الخاتمة الآتية، وهي هذه" انتهى منه بلفظه (كتاب مشارق شموس الأنوار ص 161).

الخلاصة أن الرجل يريد أن يبني له طريقة خاصة لتسليك المريدين، وجمع الأغبياء والمغفلين ومن ثم جمع النذور والقرابين، وبالتالي جعل نفسه في مكان الملوك والسلاطين!!! هذه هي النهاية التي يسعى إليها ملوك التصوف، وأئمة

الضلالة ومن أجل هذا كذبوا على الله هذا الكذب المبين ولا يسـع المسـلم إلا أن يحمد الله على العافية مما ابتلي به هـؤلاء المـارقون الكـاذبون والحمـد للـه رب العالمين.

الفصل الحادي عشر

الولاية الصوفية

الولاية الرحمانية:

أعلن القرآن أن كـل مـؤمن صـادق في الإيمـان ولي للـه سـبحانه وتعـالى. قـال تعالى: {الله ولي الـذين آمنـوا يخـرجهم من الظلمـات إلى النـور والـذين كفـروا أولياؤهم الطاغوت يخرجـونهم من النـور إلى الظلمـات أولئـك أصـحاب النـار هم فيها خالدون} (البقرة:257).

نصت الآية هنا على أن الله ولي كل مؤمن، وأنه بفضـل هـذه الولايـة يخـرج اللـه المؤمنين من الظلمات إلى النور، وقـال تعـالى أيضـاً: {إن ولي اللـه الـذي نـزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} (الأعراف:196)

وقال تعالى: {ثم جعلناك على شريعة من الأمـر فاتبعهـا ولا تتبـع أهـواء الـذين لا يعلمون* إنهم لن يغنـوا عنـك من اللـه شـيئاً وإن الظـالمين بعضـهم أوليـاء بعض والله ولي المتقين} (الجاثية:18-19).

يخبر سبحانه وتعالى أنه ولي لكل من اتقاه وخافه.. وجاء في دعاء موسـى عليـه السلام لربه {أنت ولينـا فـاغفر لنـا وارحمنـا وأنت خـير الغـافرين} (الأعـراف: 155).

وقال تعالى أيضاً: {وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصـلنا الآيـات لقـوم يـذكرون* لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون} (الأنعام:126-127).

وقـال تعـالى: {ألا إن أوليـاء اللـه لا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون* الـذين آمنـوا وكانوا يتقون} (يونس:62-63).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً التي تبين ولايتـه سـبحانه وتعـالى لكـل مـؤمن صالح متق لله سبحانه وتعالى..

والولاية هي المحبة والنصـرة.. فاللـه سـبحانه وتعـالى إذا والى عبـداً فإنـه يحبـه وينصره ويعزه ويكرمه كما قال تعالى: {يـا أيهـا الـذين آمنـوا من يرتـد منكم عن دينـه فسـوف يـأتي اللـه بقـوم يحبهم ويحبونـه أذلـة على المؤمـنين أعـزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيـه من يشاء والله واسع عليم}.

وكذلك العبد إذا قيل إنه يوالي الله فمعنى ذلك أنه يحب اللـه وينصـره كمـا قـال تعالى: {والذين آمنوا أشد حباً لله} وقال تعالى: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} فولي الله من ينصره ويحبه، ومن يحب اللـه ينصـره..، فكـل من أحب الله ونصره، وسار في مرضاته، وحفظ حدوده، وأقـام شـريعته ودينـه، فهـو ولي الله سبحانه وتعالى.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم طريق الولاية فقال صلى الله عليه وسلم: [قال الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه] (رواه البخاري).

هنا بين الرسول فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أن طريق الولاية للعبد هو أن يقوم بأداء الفرائض أولاً التي هي أحب الطاعات إليه سبحانه وتعالى، ثم يتدرج في أداء النوافل حتى يحبه الله، فإذا أحبه الله سبحانه وتعالى كان ولياً حقاً له جل وعلا، وقد جاء في الحديث الصحيح: [إن الله إذا أحب عبداً قال يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض] (رواه مسلم).

ولا شك أن ولاية الله سبحانه وتعالى هذه مبذولة لكل من سعى إليها وسار في طريقها ووفقه الله سبحانه وتعالى إلى بلوغها كما قال جل وعلا: {فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى}.

وقال أيضاً جل وعلا:

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}.

ولا شك أنه على الرغم من أن كل مؤمن هو ولي الله جل وعلا فإن ولاية الله للعبد ومحبته له تتفاوت بحسب الإيمان والتقوى والعمل الصالح فكلما ازداد إيمان العبد وترقى في درجات الكمال والصلاح وتحلى بالتقوى كان أعظم ولاية، وأقرب من ربه سبحانه وتعالى، هذا مفهوم الولاية في الإسلام على وجه الإجمال.

الولاية الصوفية الشيطانية:

ولكن في التصوف الشيطاني فإن الولاية لها معنى آخر تماماً في الشكل المضمون والموضوع، فولي الله عند الصوفية الزنادقة من اختاره الله وجذبه إليه، وليس من شرط ذلك أن يكون عند هذا المختار والمجذوب أية مواصفات للصلاح والتقوى إذ الولاية عندهم نوع من الوهب الإلهي دون سبب، وبغير حكمة، ويجعلون الولاية الكسبية هي ولاية العوام والمتنسكين والولاية الحقيقية عندهم هي الولاية الوهبية، يستدلون لذلك بمثل قوله تعالى: {يختص برحمته من يشاء} فيقولون:

الولاية اختصاص وهذا تلبيس منهم لأن اختصاص الله من يشاء برحمته لا يكون إلا لحكمة وأسباب اقتضت ذلك كما قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون} فجعل سبحانه وتعالى تقواه واتخاذ الوسيلة منه هي الطريق الموصل لرحمته فيستحيل أن تكون رحمة الله التي يختص بها من يشاء كائنة دون حكمة لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن يجعل رسالته وأين يضع هدايته كما قال تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالته} وقال تعالى: {وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين} (الأنعام:53).

فأخبر سبحانه رداً على الكفار الذين احتقروا المؤمنين لفقرهم وقالوا: كيف يرزقهم الله التقوى ونحن أكرم على الله منهم لأنه رزقنا الأموال والأولاد. قال تعالى: {أليس الله بأعلم بالشاكرين} (الأنعام) سبحانه وتعالى إنه أعلم من يوفق لهدايته وهم الذين يحكمون بواجب شكره سبحانه وتعالى ولذلك عبد الرسول ربه حتى أتاه اليقين وهو الموت، وقام من الليل حتى تفطرت قدماه وقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: [أفلا أكون عبداً شكوراً] (متفق عليه)..

فالعباد الذين يعلم الله منهم الطاعة والإخلاص والقيام بشكر نعمته هم الذين يوفقهم الله لطاعته ومحبته وولايته.

ولما اعتقد الصوفية الزنادقة أن الولاية قضية وهبية بلا حكمة ولا معقولية جعلوا المجاذيب والمجانين والفسقة والظلمة والملاحدة المشركين من أهل وحدة الوجود، أولياء لله بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات التي ظهر مثلها على الدجال وابن صياد، وأصناف من المشركين وأهل الإلحاد.. فجعلوا الكرامة الشيطانية الإبليسية كالإخبار ببعض المغيبات واحتراف بعض الحيل والشعوذات وإتقانها كزعم الدخول في النيران وضرب الجسم بالسكاكين والسهام واللعب بالعقارب والحيات، وأمثال ذلك من المخاريق والترهات جعلوا أولياء الله هم هؤلاء الذين يدجلون على الناس بمثل هذه الخرافات مع ما هم عليه من مخالفة الإسلام، في الظاهر والباطن فظاهرهم مخالف للشريعة حيث عبدوا الله بالبدع والمظاهر الكاذبة والرياء والسمعة كملبس الخرق الملونة والمرقعات وإظهار الفقر والزهد، وذكر الله بالصياح والهوس والجنون وإقامة مشاعر الشرك عند القبور والمزارات والاستعانة بالأموات، وعبادة المشايخ والذوات، جعلوا من هذه أحوالهم في ظاهرهم أولياء لله، ومن أحوالهم في بواطنهم أشر من ذلك وأمر. فهم من أهل وحدة الوجود الكافرين والزنادقة الملحدين الذين لا يفرقون بين خالق ومخلوق، ورب وعبد، ومن يجعلون النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو علة الأكوان، والمستوي على عرش الرحمن، ومبدع الأرض والسماوات إلى آخر هذا الكفر والهذيان مما يأباه من عنده أدنى إسلام وإيمان... هذه هي الولاية الصوفية في زعمهم جعلوها لهؤلاء كما جعلوها أيضاً للمجانين والصبيان ولأهل التخاريف والهذيان حتى عدوا في أوليائهم من يأتي الحمارة في وضح النهار، وأمام الأسماع والأبصار وسلكوا في سلك الولاية الشيطانية هذه من يشرب الخمر جهاراً نهاراً، ويزني ويلوط عياناً بياناً، ويزعمون في كل ذلك أن هذا مظاهر غير مراد، وأنه نوع من التخييل للعباد، وأن الولي الصادق لا تضره معصية أبداً، أو أن الأعيان ينقلب له فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته، ولم يكتفوا بهذا أيضاً في تعريف الولاية عندهم بل قالوا في الفكر الصوفي إن الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون، وكل ولي عندهم قد وكله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانبه الأربعة، ويسمون الأقطاب، وسبعة أولياء آخرون كل منهم في قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء. وعدد آخر من الأولياء في كل إقليم في مصر ثلاثون أو أربعون وفي الشام كذلك، والعراق وهكذا، وكل واحد من هؤلاء قد أوكل إليه التصريف في شيء ما، حتى عدو منهم من صرفه الله في رعاية الكلاب، ومنهم من له التصريف في رعاية الحيات، وفوق هؤلاء الأولياء جميعاً ولي واحد مراد يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو

الذي يدبر شأن الملك كله سمواته وأرضه والأولياء جميعـاً في بقـاع الأرض تحت أمره.

فالأرض والسماوات تدار حسب الولاية الصوفية وأما الملائكـة جميعـاً فـإنهم في خدمة هـؤلاء الأوليـاء ينفـذون أوامـرهم ويخضـعون لمشـيئتهم.. هـذه هي الولايـة الصوفية وهي لا تمت من قريب أو بعيد للولاية الإسلامية القرآنيـة قـط.. فـالولي في الإسلام عبد هداه الله ووفقـه وسـار في مرضـاة ربـه حسـب شـريعته، وهـو يخشى على نفسه دائماً من الكفر والنفاق وسوء العاقبة ولا يعلم هل يقبـل اللـه عمله أو لا.. وأما الولي الصوفي فهو رب كبـير أو صـغير يتصـرف في جـانب من جـوانب الكـون ولا يلـتزم بشـريعة لأن لـه شـريعته المسـتقلة، والملائكـة تحت مشـيئته والسـماوات والأرض كالخلخـال برجلـه!! ولا يغـرب عنـه شـيء في السماوات ولا في الأرض، ولا خوف عليه مطلقاً لأنه قد جـاءه الأمـان، ولا يحـزن لشيء مطلقاً لأن بيده التصريف.. هذه هي الولاية الصوفية. والحق أن الذي قـرأ شيئاً من الفلسفة الإغريقية القديمـة يعلم يقينـاً أن فكـرة الولايـة الصـوفية هـذه منقولة عن هذه الفلسفة فآلهة الإغريق قديماً -كما صـورتها الإليـاذة والأوديسـيا- يتصرفون في الكون ولكل منهم جانب خاص من جـوانب العـالم، (فمـارس) هـو إله الحرب، (وكيوبيد) هو إله الحب و (افروديت) هي إلهة الجمال، و (أبوللو) هـو رب الأرباب وهكذا..

إن فكرة تعدد الآلهة عند الإغريق وتصرفهم في الكون هي فكرة الولاية الصوفية تماماً حيث يعبث هؤلاء الولاية الصوفيون بمصائر البشر، ويتحكمـون في أرزاقهم وأعمالهم، ويتصارعون أيضاً ويتنافسون كما يصنع آلهة الإغريق تماماً..

والآن اصحبني أيها القـارئ لأريـك نصـوص المتصـوفة وعبـاراتهم، وخيـالاتهم في وصف ولايتهم الصوفية:

أول من ألف كتابـاً مسـتقلاً في الولايـة الصـوفية هـو محمـد بن علي بن الحسـن الترمذي، الذي يسـمونه الحكيم، وهـو غـير الترمـذي صـاحب السـنن المشـهورة بسنن الترمذي، وقد نشأ (الحكيم) هـذا في أواخـر القـرن الثـالث الهجـري، وهـو مجهول سنة الولادة والوفاة. وكتابه الذي أشرنا إليه يسمى (خاتم الأولياء) (راجع الفصل بختم الولاية الصوفية)..

والمهم هنا أن الترمذي هذا رسم الملامح الخيالية الزندقية للولاية الصـوفية ومن أجل هذا الكتاب شهد علماء زمانه بالزندقة والكفر ونفـوه من بلـده (ترمـذ) كمـا أخبر بذلك صاحب الطبقات الصوفية أبو عبـدالرحمن السـلمي، وادعى الترمـذي هذا في الولاية ما تابعه بعد ذلك عامة الصوفية عليه من أن الولايـة وهب ومنحـة إلهيـة لا كسـب وموجـدات، وأن الـولي يعلم علم البـدء وعلم المقـادير وعلم الحروف (ختم الولاية ص362).

ووضع الترمذي هذا مراتب للولاية، فجعل منهم المجـاذيب وأهـل العتـه والجنـون لأن الله جذبهم إليه وأسقط عنهم التكاليف، وأن هناك أربعين من أوليائهم الـذين يتصرفون في شئون العالم، وأن هناك القطب الأكبر والخاتم للولاية وأن الأوليـاء هؤلاء محروسون عند الله فلا يلقى في صـدورهم إلا الـوحي الرحمـاني الملائكي فقـط!! وجعـل هـؤلاء الأوليـاء منهم من بلـغ ثلث النبـوة، ومنهم من بلـغ نصـفها ومنهم من زاد على ذلـك وهـو ختم الأوليـاء (ختم الولايـة ص347). ومن هـؤلاء الأولياء تظهر لهم الآيات مثل طي الأرض، والمشي على المـاء ومحادثـة الخضـر (ص361). وزعم كـذلك أن قلـوب هـؤلاء الأوليـاء هي كتـاب اللـه يطبـع فيـه مـا

يشاء!! وأنهم كالأنبياء لهم من الله عقد الولاية ولذلك كشف عن قلـوبهم الغطـاء فيرون ملك الله في كـل أجزائـه في العـالم العلـوي والسـفلي، وزعـم أن هـؤلاء الأولياء يعرفون منازلهم من الجنـة، ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون، ويقطعـون بذلك وأن الكرامات التي تظهر على أيديهم دليل على صدقهم وإيمـانهم..، يقـول الترمذي:

"ما قولك في مُحَدِّث، بشر بـالفوز والنجـاة فقـال: رب اجعـل لي آيـة تحقـق لي ذلك الخـبر الـذي جـاءني لينقطـع الشـك والاعـتراض. فقـال (أي اللـه): آتيـك أن أطوي لك الأرض حتى تبلـغ بيـني الحـرام في ثلاث خطـوات، وأجعـل لـك البحـر كالأرض تمشي عليه كيف شئت وأجعل لك التراب والجو في يـديك ذهبـاً، ففعـل هذا هل ينبغي له أن يطمئن إلى هذه البشرى بعد ظهور هذه الآية أولاً" أ.هــ منـه بلفظه (ختم الولاية ص401).

وهذا الكلام من الحكيم الترمذي تلبيس وتدليس كله.. من هذا الذي يخاطبه اللــه بكلمة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؟! ولا نبي بعد رسول الله، ومن هذا الذي يعطيه من هذه الكرامات المزعومة مـا لم يعـط رسـله وأنبيـاءه.. فـإن الرسـول محمد صلى الله عليه وسلم ما سار على الماء، ولا طار في الهواء، ولا جعلت له الجبال ذهباً. بل جاع هو وأصحابه وربط الحجر على بطنه أياماً وسار على قدميـه في جيوشه حتى تقطعت أقدامهم وما كان لهم إلا الخـرق يلفونهـا بـه حـتى لقـد سـمو غـزوة من غـزواتهم بغـزوة ذات الرقـاع لأنهم مزقـوا فيهـا بعض ملابسـهم ليلفوا أرجلهم ولقـد كـانوا أفضـل النـاس وأفضـل الأمـة، أيـأتي بعـد ذلـك هـؤلاء البطـالون المتـأكلون الآكلـون أمـوال النـاس بالباطـل المعتقـدون عقائـد الوثنيـة والشرك ليعطيهم الله الولاية العظمى يمكنهم من الطـيران في الهـواء، والسـير على الماء، وقلب الأحجار فضة وذهباً لا شـك أن الـذي يـزعم شـيئاً من ذلـك قـد لبس عليه الشيطان وأدى له بعض الخدمات كأن نقله مرة من مكـان إلى مكـان بسرعة الشيطان، وسرق له بعض الذهب من مكان وتسمى هذه الأمثلـة كرامـة رحمانية وما هي إلا حيل شيطانية يلبس بها الشيطان على أوليائه.

ولا غرو أن يدعي الترمذي هذا ما يدعي فأنه قد ذكر على نفسه فيما سماه (بـدو شأن الترمذي) أن زوجته قد تنبأت له، وزعمت لـه أنهـا رأت في شـأنه عشـرات من الرؤى منها أنها رأت أن سطح بيتها وكـانت نائمـة عليـه قـد هبـط إلى الأرض وأنها وجدت داخل بيتها رجلين قاعدين في هيبة وأنهمـا قـالا لهـا: قـولي لزوجـك: أنت وتد من أوتاد الأرض تمسك طائفة من الناس!! (بدو شأن الترمـذي مطبـوع مع ختم الولاية ص25) وأن هـذين الـرجلين الـذين بشـراها همـا محمـد وعيسـى عليهما الصلاة والسلام، وزوجته هذه أيضاً تنبأت له بأنهـا كـانت نائمـة مـع زوجهـا في فراش واحد وجاء الرسول صلى الله عليه وسـلم فـدخل فراشـهما معهمـا!! (بدو شأن الترمذي مطبوع مع ختم الولاية ص38).

ولا يخفى أن أمثال هذه الرؤيا والتنبؤات رؤى شيطانية حتمـاً فليس هنـاك شـيء يسمى أوتـاداً تمسـك الأرض لأن اللـه سـبحانه وتعـالى يقـول: {إن اللـه يمسـك السماوات والأرض أن تزولا}.

وإذا كان الله هو الذي يمسك السماوات والأرض فمعنى ذلك أنه ليس في حاجـة إلى الترمذي وغيره ليكون وتداً يمسك جانباً من الأرض!! نعم جعـل اللـه الجبـال أوتاداً للأرض ولم يجعل الترمذي الذي ينام ليله شاخراً وتداً من أوتاد الأرض وأمـا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقـول [من رآني في المنـام فقـد رآني فـإن الشيطان لا يتمثل بي] يستحيل أن يأتي ليدخل في فراش رجـل مـع زوجتـه ولم

يدخل مع زوجة الترمذي في فراشها وهي مع زوجها إلا الشيطان حتماً الذي يعلم من هم أولياؤه.

واسمع إلى الترمذي يحكي عن خرافات زوجته فيقول:

"ثم رأت رؤيا أخرى وهي بالفارسية وفي آخرها قالت: فانتبهت فوقع عليها حرص الاستماع إلى الموعظة وطلب الحقوق من نفسها. فأول ما ابتدى لها من تحقيق رؤياها أنها كانت في البستان قاعدة وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة، بعد أن رأت هذه الرؤيا، بنحو من خمسة أيام (ستة) إذ وقع على قلبها: يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات نوره.

قالت فوجدت كأن شيئاً دخل صدري فدار حول قلبي فأحاط به وامتلأ الصدر إلى الحلق، حتى صرت شبه المخنوق من امتلائه، وله حرارة وحرقات على القلب فتزينت الأشياء كلها لي. فما وقع بصري على أرض ولا سماء وخلق من الخلق إلا رأيته بخلاف ما كنت أراه من الزينة والبهجة والحلاوة.

ثم وقع على قلبي كلمة بالفارسية: (نكيني من ترا داذم)، فامتلأت فرحاً وطيب نفس ونشاطاً فأخبرتني بذلك فلما كان اليوم الثاني قالت: وقع على قلبي أنا أعطيناك ثلاثة أشياء، ووقع الكلام بالفارسية: (سه جيزترا داذم جلال من (و) عظمة من وبهاء من (ومعنى هذه الكلمات بالعربية: أي أعطيناك ثلاثة أشياء هي جلالي وعظمتي وقدرتي!!)) وأضاء لي من فوقي فدام هكذا فوق رأسي في الهواء كما كنت رأيته في المنام فترى في ذلك الضوء علم الجلال وعلم العظمة وعلم البهاء..

فأما الجلال فإني رأيت كأن البيت يتحرك (ايذون جيزي همي بيود، وجمش خلق همه ازوي، وعظمة بري (و) همه جيزها ازوي، وبها (و) سرا (ي) همه جيزها همه جيزها (ازوي نخست فر (أي أعطيناك علم الأولين) سمانها وبذم او كنده.. تفروذ).

ثم وقع على قلبها، اليوم الثالث (ترادادم علم اولين وآخرين) فدام بها هذا حتى نطقت بعلم أسماء الله فكان يفتح لها في كل يوم اسم الأصل: ويبدو، ذلك الضوء على قلبها وينكشف لها باطن ذلك. حتى كان يوم الجمعة، في أيام العشرة، حضرت المجلس، فذكرت أنه وقع عليها اسم (اللطيف)".

فانظر كيف تنبأت زوجة الترمذي الفارسية وكانت الرؤى تنزل عليها بالفارسية أيضاً وأنها أخبرت أنها أخذت من الله الجلال والعظمة والقدر!! وأنها كذلك نالت علم الأولين والآخرين، وهكذا لم يكتف الترمذي بأن يكون هو الوتد بل رأس الأوتاد الذين زعم أنهم أربعون بل زعم أخيراً أنهم خاتم الأولياء جميعاً كما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ولم يكتف بكل ذلك إلا أن جعل زوجته متنبئة كذلك وأنها حصلت على علم الأولين والآخرين وأخذت ثلاث صفات من صفات لله تعالى وهي الجلالة والعظمة والقدر!؟

هذا هو الزعيم الأول والرائد الأول لفكرة الولاية الصوفية، وفكرة ختم الولاية. والعجيب أنه كتب كتابه هذا نحو سنة 269هـ حيث ذكر أن زوجته رأت بعض هذه الرؤى يوم السبت 20 من ذي القعدة سنة 269هـ.. وبذلك يكون الترمذي أول من وضع لبنات الفكر الصوفي في قضية الولاية المزعومة.. ومن أجل هذا الكتاب رماه علماء بلده بالكفر والزندقة واستطاعوا طرده من ترمذ ولكنه عاد إليها بعد ذلك تحت جناح بعض الظالمين.. وقد أفضنا في بيان هذه القضية من

كتاب الترمذي لأنه أول من سن هذا الشر المستطير الذي جاء بعده، وكتابه هو أول كتاب فيما أظن قد وضع الأسس الخبيثة هذه لفكرة الولاية الصوفية.

مراتب الولاية عند الصوفية:

وقد ذهب المتصوفة إلى تقسيم مراتب الولاية عندهم فمنهم من قالوا إنهم يتقسمون إلى الغوث وهو أكبر الأولياء جميعاً وهو واحد في كل زمان وتحته الأوتاد الأربعة وكل واحد منهم في ركن من أركان العالم يقوم به ويحفظه والأقطاب السبعة وكل منهم في إقليم من أقاليم الأرض السبعة أي في قارة من القارات السبع، (والأبدال) وزعموا أنهم أربعون وهم يعيشون في العالم، وكلما هلك واحد منهم أبدله الله بغيره لحفظ الكون!! (والنجباء) وهم ثلاثمائة كل منهم يتولى شأناً من شئون الخلق..

ولا يشك مسلم يعلم شيئاً من الكتاب والسنة ولا عالم قد اطلع على علوم الكتاب والسنة أن ما قاله الصوفية في هذا الصدد هراء وكذب لا أساس له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن الصوفية أرادوا أن يؤسسوا لهم دولة في الباطن تحكم وتنفذ وتتحكم في شئون الناس فبنوا هذه الدولة العجيبة الباطنية التي يتحكم فيها هؤلاء الذين سموهم بالغوث والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد.. ويتعجب الإنسان وهو يطالع الفكر الصوفي في هذا الصدد كيف أن المتصوفة أحكموا خطتهم للسيطرة على عقول الناس، ولإدخالهم إلى دينهم العجب العجيب حيث أوهموهم أن التصريف في الأرض والسماء والخلق أجمعين إنما هو لدولتهم الخفية التي يتحكم فيها أولياء الصوفية.. هؤلاء الأولياء الذين قد يكونون أحياناً أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة وأحياناً مجاذيب يصرخون ويبولون في الطرقات وأحياناً زناة وشاربي خمور قد رفعت عنهم التكاليف الظاهرة وأن منهم من يعيش طيلة عمره قذراً وسخاً لا يتطهر بماء قط أو صابون ليوفر الماء (انظر) للفقراء!! ومع ذلك فهؤلاء الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعجزهم شيء ولا يقف أمام إرادتهم أحد أبداً.. وتعال معي في جولة مع خرافات القوم وترهاتهم لتعلم أي عالم يعيش فيه رجال التصوف.

وقد كفانا عبد الوهاب الشعراني مئونة تجميع أقوالهم في مراتب الولاية حيث جمع أقوال ابن عربي في الفتوحات ولنبدأ أولاً بمفهوم القطب الغوث أو القطب الأكبر عند الصوفية:

يقول الشعراني:

"وأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين أنه لا يتمكن القطب من أن يقوم في القطابة إلا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألم، والمص، ونحوهما فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لها.

(فإن قلت) فما علامة القطب فإن جماعة في عصرنا ادعوا القطبية وليس معنا علم برد دعواهم.

(فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أن للقطب خمس عشرة علامة: أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى

منتهاه وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعلم الإحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه.." انتهى.

وقال في الفتوحات في الباب السبعين ومائتين: "إن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الإلهية (أي أن يتصف بما يتصف به الله من السمع والبصر والقدرة.. الخ)، بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الإلهية (يعني ظهور صفات الله فيه)، وصاحب الوقت (أي المتصرف في الخلق)، وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور (فهو يعلم ما مضى وما يأتي)، ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه، كثير النكاح وراغب فيه، محب للنساء، يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له، ويوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي، يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت إنما هو لله وحده حاله دائماً العبودية والافتقار، يقبح القبيح ويحسن الحسن، يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص، تأتيه الأرواح في أحسن الصور يذوب عشقاً يغار لله عز وجل، ويغضب له تعالى، له الإطلاق في المظاهر من غير تقييد، لا تظهر روحانيته إلا من خاف حجاب الشهادة والغيب، لا يرى من الأشياء إلا محل نظر الحق فيها، يضع الأسباب ويقيمها، ويدل عليها، ويجري بحكمها، ينزل إليها حتى يحكم عليه، ويؤثر فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائماً إن كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وإن لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته إلا لضرورة فإن لم يجد حاجته لجأ إلى الله تعالى في حاجة طبيعة لأنه مسؤول عنها ومتول عليها ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأل فإن شاء الله تعالى أعطاه ما سأل عاجلاً أو آجلاً فمرتبته الإلحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء كلها تتكون عن هممهم لأن الله تعالى عجل لهم نصيباً من أحوالهم في الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فإن أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار الله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد إلا في النادر لا ما يراه الحق تعالى فيفعله بإذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوباً له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطراراً لا اختياراً ويصبر على النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شيء أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسل وإنما يرغب ففيه لمجرد الشهوة وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة. وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن إحساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الأنبياء ولعلو مراقي هذا المقام جهله أكثر الأولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الإكثار منها" (اليواقيت والجواهر ج2 ص79) أ.هـ.

فانظر كيف لبس على الناس ووصف الولي المزعوم بصفات الربوبية الكاملة ثم راح يصفه بصفات العبودية أيضاً تلبيساً على الناس.

ويستطرد الشعراني ناقلاً عن ابن عربي وصفه للغوث فيقول:

"واعلم أن من مقـام القطب أن يتلقى أنفاسـه إذا دخلت وإذا خـرجت بأحسـن الأدب لأنها رسل الله إليه فترجع منه إلى ربها شاكرة لـه لا يتكلـف لـذلك (وهـذا كذب محض فالتنفس عملية لا إرادية شأنها واحـد في كـل إنسـان وليس هنـاك نفس مسبح ونفس غير مسبح إلا أنـه يعتقـد المـؤمن أن حياتـه لا تقـوم إلا باللـه فيؤجر على ذلك ويكون عائداً لله من هذا الوجه).

وأطال الشيخ في ذلك ثم قال فإذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل أربعـة الدنانير منها خمسة وعشـرون قيراطـاً وبهـا تـوزن الرجـال والأربعـة هم الرسـل والأنبياء والأولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضي اللـه عنـه. وقـال الشـيخ في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة: من شأن القطب الوقوف دائماً خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فإن مات لقي الله عز وجل فهو كالحجاب الذي ينفـذ أوامـر الملـك وليس لـه من اللـه تعـالى إلا صـفة الخطاب لا الشهود" (عاد إلى التلبيس مـرة ثانيـة فـزعم أن الـولي يتصـرف في الخلق بأمر الله).

القطب الغوث واحد في الزمان فقط:

ويستطرد أيضاً مبيناً أن القطب الأكبر أو ما يسمونه بالغوث واحد في كل زمـان. فيقول:

"قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين:

ومن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكـون هـذه المرتبـة لغـيره من الأولياء أبداً ثم إذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفـرد قـط بـالخلوة لشخصـين في زمـان واحـد أبـداً. وهـذه الخلـوة من علـوم الأسرار. وأما ما ورد في الآخرة من أن الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهم واكتم". انتهى (اليواقيت والجواهر).

وحتى لا يقع المتصوفة في الأشكال المعروفة وهو أن كان أقطـاب التصـوف في عهد الخلافة الراشدة لذلك بادر ابن عربي للقول أن أبا بكر وعمـر كـانوا أقطابـاً بالمعنى الصوفي.. ونقول حاشا الصحابة أن يدخلوا في هذا الزور والبهتان.

يقول ابن عربي:

"ثم اعلم أنه لما كان نصب الإمام واجباً لإقامة الـدين وجب أن يكـون واحـداً لئلا يقع التنازع والتضـاد والفسـاد فحكم هـذا الإمـام في الوجـود حكم القطب. قـال: وقد يكون من ظهر الأئمة بالسيف أيضاً قطب الوقت كأبي بكر وعمـر في وقتـه، وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الـذي لا يكـون إلا بصـفة العدل، ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نـواب القطب في البـاطن من حيث لا يشعر فـإن الجـور والعـدل يقـع من أئمـة الظـاهر ولا يكـون القطب إلا عـادلاً. واعلم أن القطبية كما أنهـا قـد تكـون لـولاة الأمـور كـذلك قـد تكـون في الأئمـة المجتهدين من الأربعة وغيرهم بـل هي فيهم أظهـر ويكـون تظـاهرهم بالاشـتغال بالعلم الكسـبي حجابـاً عليهم لكـون القطب من شـأنه الخفـاء رضـي اللـه عنهم أجمعين" (اليواقيت والجواهر ج2 ص80).

وهكذا يجعل ابن عربي بعض الخلفاء أقطاباً وبعض الفقهاء كـذلك. ولقـد من ابن عربي على الإمام الشافعي فأعطاه رتبـة (الوتـد) في مملكتـه الصـوفية، أي أنـه كان يسـيطر على ربـع العـالم. وأمـا الإمـام أحمـد فـأن ابن عـربي لم يمن عليـه بشيء من هذه الرتب الصوفية واكتفى بأن جعلـه مجـرد (صـديق)!! وهي منزلـة العامة عندهم ممن يؤمن بالخرافات الصوفية.

يقول الشعراني:

"قال الشيخ محيي الدين: وقد اجتمعت بالخضر عليـه السـلام وسـألته عن مقـام الإمام الشافعي فقال: كـان من الأوتـاد الأربعـة فسـألته عن مقـام الإمـام أحمـد فقال: هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعـالى: {يـا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمـر منكم} المـراد بـأولي الأمـر الأقطـاب والخلفاء والولاة ولكن فيما لا يخالف شرعاً مأموراً به وذلـك هـو المبـاح الـذي لا أجـر فيـه ولا وزر فـإن الـواجب والمنـدوب والحـرام والمكـروه من طاعـة اللـه ورسوله فما بقي لأولي الأمر إلا المباح فإذا أمرك الإمام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفتـه وصار حكم الإباحة منه بأمر هذا الإمام الذي بايعته" أ.هـ.

ولا شك أن الإمام أحمد لم يكن ممن يؤمن بهذه الخرافـات بـل قـال لمن سـأله عن كتب الحارث المحاسبي هذه كتب بدع وضلالات ولكن الصوفية لا يستطيعون أن يسبوا أحد الأئمة الأربعة المتبعين وذلك لمنزلة هؤلاء الأئمة من قلوب الناس.

والمهم أن الصوفية قد بنوا لهم دولة في الباطن على هذا النحو الـذي أسـلفناه.. أيضاً لأجل التلبيس على الناس وتمريغ عقـولهم في الأوحـال والإلقـاء بهم بعيـداً في مهاوي الضلال زعم ابن عـربي أيضـاً أن الأوتـاد الأربعـة يكونـون على قلـوب الرسل الذين زعم أنهم ما زالوا أحياء، وهم:

إدريس، وإليـاس، وعيسـى، والخضـر، وأن هـؤلاء جميعـاً يرجعـون في الأخـذ من القطب الأكبر (الغوث) الذي هو واحد في الأرض فقـط وأنـه إذا مـات أقـام اللـه غيره. فهؤلاء الأولياء الأربعـة (الأوتـاد) الـذين طبعـوا على قلـوب الأنبيـاء الأربعـة الأحياء يرجعون في أحكامهم للقطب الغوث..

وكل هذه الخرافات والخزعبلات قد عرفها ابن عربي عن طريق الكشف الخـاص له والعلم اللدني ولذلك سماه المتصوفة بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر!!.

يقول الشعراني عن شيخه ابن عربي في بيان هذه الخرافات:

"(فإن قلت) فالمراد بقولهم القطب لا يموت:

(فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات:

أن المراد به من أن العالم لا يخلو زماناً واحداً من قطب يكون فيـه كمـا هـو في الرسـل عليهم الصـلاة والسـلام، ولـذلك أبقى اللـه تعـالى من الرسـل الأحيـاء بأجسادهم في الدنيا أربعة: ثلاثة مشرعون، وهم إدريس وإلياس وعيسى، وواحـد حامل العلم اللدني هو الخضر عليه السـلام. وإيضـاح ذلـك أن الـدين الحـنيف لـه أربعة أركان كأركان البيت وهم الرسل والأنبيـاء والأوليـاء والمؤمنـون، والرسـالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه، فلا يخلوا زمان من رسول يكون فيه، وذلك هـو القطب الذي هو محل النظر الحق سبحانه وتعالى من العـالم كمـا يليـق بجلالـه. ومن هذا القطب يتفرع جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم العلوي والسفلي.

قال الشيخ محيي الدين:

ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجوداً في هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجوداً في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم إلى يوم القيامة ولما كان الأمر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلها في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الأرض من رسول حي جسمه إذ هو قطب العالم الإنساني ولو كانوا في العدد ألف رسول فإن المقصود من هؤلاء هو الواحد؛ فإدريس في السماء الرابعة، وعيسى في السماء الثانية، وإلياس والخضر في الأرض. ومعلوم أن السماوات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى بقاء الدنيا بفنائها فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الأطلس فإنه معدود من الآخرة في يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض والسماوات يعني يبدلهم بغيرهن، كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة أخرى أرقى وأصفى وألطف فهي نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الأخبار. وقد أبقى الله في الأرض إلياس والخضر وكذلك عيسى إذا نزل وهم من المرسلين؛ فهم القائمون في الأرض بالدين الحنيف فما زال المرسلون لا يزولون في هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فالقطب هو الواحد من عيسى وإدريس وإلياس والخضر وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الأسود واثنان منهم هما الإمامان وأربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الإيمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيف فالقطب من هؤلاء لا بعينه. قال الشيخ: ولكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة من كل زمان شخص على قلبه نائباً عنه مع وجودهم وأكثر الأولياء لا يعرفون القطب والإمامين والأوتاد ولا النواب ولا هؤلاء المرسلين الذين ذكرناهم، ولها يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم إذا خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فإنك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقي في سري من إظهارها ما أظهرتها" (اليواقيت والجواهر ج2 ص 81) انتهى منه بلفظه.

ولعلك أيها القارئ بعد هذه الجولة الخرافية الصوفية تريد أن تعرف أين يسكن القطب ويجيبك ابن عربي قائلاً:

"فإن قيل هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائماً كما هو مشهور. (فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حداداً وتارة تاجراً وتارة يبيع الفول، ونحو ذلك والله أعلم" (اليواقيت والجواهر ج2 ص81) أ.هـ.

ولعلك الآن أيها القارئ تريد أن تعرف كيفية تولي القطب منصبه الباطني هذا وهل تكون له مبايعة كما يبايع الأمراء والخلفاء..

وقد تفضل ابن عربي أيضاً فأجاب عن هذا التساؤل بقوله:

"فإن قلت: فهل يحتاج القطب في توليته إلى مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر؟

(فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلاثمائة وعبارته:

(اعلم أن الحق تعالى لا يولي قط عبداً مرتبة القطابة إلا وينصب له سرير في حضرة المثال يقعده عليه ينبي صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبي صورة الاستواء على العرش عن صورة إحاطته تعالى علماً بكل شيء ولله المثل الأعلى فإذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حللاً وزينة متوجاً مسوراً من ملجا لتعمه الزينة علواً وسفلاً ووسطاً وظاهراً وباطناً فإذا قعد عليه وقعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره دخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى إلا العالون المهيمنون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر إلهي ظاهر على لسان رسول. واعلم أن أول من يدخل عليه الملأ الأعلى على مراتبهم الأول فيأخذون يده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم إذ لا يعرف شيء إلا بضده فهم في منشط لا يعرفون لها طعماً لعدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة إلا يسأله عن مسألة من العلم الإلهي فيقول له يا هذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسألة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علماً ليس عنده ثم يخرج. قال الشيخ: وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا أحد إليه وليست هذه المسائل معينة يتحرر السؤال بها لكل قطب وإنما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد أن جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان.

قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السماوات والأرض من الملائكة المسخرة ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل حال فيه إلا العالون من الملائكة كما مر، وكذلك الأفراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف إذ هم كمل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الأمر يقتضي أن لا يكون في الزمان إلا واحد تقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وإنما هو يسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده" انتهى بلفظه (اليواقيت والجواهر ج2 ص79،80).

فانظر أيها المسلم هذا التهريج والتخريف والخبط الذي يريد هؤلاء الأفاكون جذب الناس إليه وإيقاع الناس فيه، وأحمد الله على نعمة العقل التي أعطاك إياها ونعمة الإيمان والإسلام إن كنت من أهله، وانظر كيف يتلاعب الشيطان بهؤلاء المتهوكين الفارغين إلا من الخرافات والخزعبلات والزندقة والكفر الذي ليس له مثل في الأرض. والعجيب أن ابن عربي لا يقف خياله الزندقي عند حد مطلقاً فقد ذهب ليزعم أيضاً أنه عرف أسماء الأقطاب منذ آدم وحتى بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث ينقل عنه الشعراني أنه قال في الفتوحات ما نصه:

"فإن قلت فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات:

(إن الأقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الأقطاب المكملين من الأمم السالفة من عهد آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطباً أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم: الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفار والماضي والماحق

والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والمراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي الأصلح والباقي فهؤلاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل من حيث النشء الإنساني إلى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم (اليواقيت والجواهر ج2 ص82) أ.هـ.

فانظر كيف اكتشف ابن عربي أسماء الأقطاب المزعومين منذ آدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكيف راح يزعم أن هؤلاء جميعاً الذين افترى أسماءهم يستمدون علومهم من روح الرسول التي زعم أنها هي المستوي على العرش الرحماني كما مر تفصيل ذلك في الحقيقة المحمدية.

وذلك أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو أول موجود في زعمهم وهو الحق الذي خلق العرش من نوره والكرسي والسماوات والأرض والجن صلى الله عليه وسلم هو المستوي على عرش الرحمن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً..

وهكذا نجد الصوفية قلبوا كل موازين الشريعة وغيروا جميع عقائد الدين وابتدعوا ديناً جديداً بعيداً عن الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد المشرق عن المغرب.

قطب سنة 593هـ من مدينة فاس بالمغرب:

ويستطرد ابن عربي في تخريفاته وكذبه فيزعم أن لكل إقليم بلدة وقرية قطباً صغيراً آخر يحفظ هذه المدينة!! وأنه التقى بالقطب الأكبر في المغرب في مدينة فاس وأنه كان مشلول اليد:

يقول الشعراني:

"قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة:

واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطباً غير الغوث يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفاراً وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه. قال الشيخ: قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبدالله بن الأستاذ ببلاد الأندلس صحبته زماناً طويلاً وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار علي أن أستره عن الحاضرين ففعلت" (اليواقيت والجواهر ج2 ص83) أ.هـ.

وهكذا تتم السيطرة الباطنية المزعومة من هؤلاء الأولياء على كل مدينة وقرية من قرى العالم، وهكذا يحكم الصوفية شباكهم ويصطادون العقول المريضة والضعيفة والتي سيقتلها الخوف عندما تعلم أن الدولة الباطنية قد أحكمت سيطرتها على العالم وأنه ليس هناك من قرية ولا مدينة إلا فيها حاكم باطني يحكم أو قالوا يحفظ هذه المدينة والقرية، وقد أعطاه الله في زعمهم التصريف في شئون عبادها..

وظيفة القطب:

ولعلك تريد أن تعرف الوظيفة المناطة بكل هؤلاء الذين توزعوا الأرض وتصــرفوا في حياة الخلائق وحفظ الله بهم -في زعم الصوفية- الوجـود وكيـف تـورث هـذه الولاية:

يقول الشعراني عن شيخه ابن عربي:

"وقـال في البـاب الثـالث والثمـانين وثلاثمائـة: اعلم أن بـالقطب تحفـظ دائـرة الوجود كله من عالم السكون والفساد وبالإمامين يحفظ الله تعـالى عـالم الغيب والشهادة وهو ما أدركـه الحس، وبالأوتـاد يحفـظ اللـه تعـالى الجنـوب والشـمال والمشرق والمغرب، وبالأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة، وبالقطب يحفـظ اللـه تعالى جميع هؤلاء لأنه هو الذي يدور عليـه أمـر عـالم الكـون كلـه فمن علم هـذا الأمر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فـإن قلت) فهـل للقطب تصـريف في أن يعطي القطبيـة لمن شـاء من أصحابه وأولاده.

(فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنـا أن بعض الأقطـاب سـأل اللـه أن تكون القطبية من بعده لولده فإذا بالهاتف يقول لـه: ذلـك لا يكـون إلا في الإرث الظاهر وأما الإرث الباطن فذلك إلى الله وحـده اللـه أعلم حيث يجعـل رسـالته. انتهى.

فعلم أنه ما حفـظ من حفـظ من الأوليـاء وغـيرهم من جهاتـه الأربعـة إلا بالأوتـاد الذين كان منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه وما حفـظ من حفـظ في صـفاته السبع إلا بالأبدال السبعة فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وإرادة وسمع وبصر وكلام. انتهى (اليواقيت والجواهر).

وهكذا يريد المتصوف إيهامك أن ما حفظ من سمعك وبصـرك وقـدرتك وعلمـك، وحياتـك وإرادتـك إنمـا مرجعـه إلى بـدل من الأبـدال السـبعة الـذين كـان منهم الشافعي في زمانه..

الشافعي هذا رضي الله عنه الذين يكذبون عليه والذي قال عن الصوفية بعــد أن ارتحل عن العراق إلى مصر قال: "تركت بغداد وقـد أحـدث الزنادقـة فيهـا شـيئاً يسمونه السماع" أ.هـ.

وقال أيضاً رضي الله عنه: "لا أرى إنساناً يتصوف أول النهار إلا يكـون أحمـق في آخره"!!!!.. والصحيح أن الحمق يصيب الأتباع والدهماء الذين يصدقون مثل هذه الخرافات ولكن الذين افتروا ذلك ودونوه لا شك أنهم دهاة عرفوا كيف يصـرفون الناس عن عقيدة الإسلام إلى عقائـد الكفـر والوثنيـة.. فهـؤلاء لم يـتركوا دينـاً أو فلسفة كافرة ولا زندقة إلا أضافوها إلى عقيـدتهم وخرافـاتهم وانظـر إلى كيفيـة عمل الأبدال عندهم.

الأبدال السبعة ووظائفهم:

قال الشعراني: وقال الشيخ أيضاً في الباب الخامس عشر:

"اعلم أن لكل بدل من الأبدال السبعة قدراً، يمـده من روحانيـة الأنبيـاء الكـائنين في السماوات فينزل مدد كل بـدل من حقيقـة صـاحبه الـذي في السـماء. قـال: وكذلك أمداد الأيام السبعة فتنزل من هؤلاء الأبدال لكل يـوم مـدد يختص بـه من ذلك البدل.

(فإن قلت) وهل يزيد الأبدال وينقصون بحسب الشئون التي يبـدلها الحـق تعـالى أو هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون؟؟

(فالجواب) هم سـبعة لا يزيـدون ولا ينقصـون وبهم يحفـظ اللـه الأقـاليم السـبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسـرار في حركاتها ونزوله في المنازل المقدرة.

(فـإن قلت) فلم سـموا أبـدالاً؟ (فـالجواب) كمـا قالـه الشـيخ في البـاب الثـالث والسبعين:

أنهم سـموا أبـدالاً لأن كـل واحـد منهم إذا فـارق مكانـه خلفـه فيـه شـخص على صورته لا يشك الرائي أن ذلك البدل.

(فـإن قلت) فهـل تـرتيب الأقـاليم السـبعة على صـورة تـرتيب السـماوات بحيث يكون ارتباط الإقليم الأول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا..

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثمن والتسعين ومائة: نعم يكـون روحانيـة كل إقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة له فالإقليم الأول للسماء السابعة وهكذا..

(وإيضاح ذلك) أن تعلم يا أخي أن الله تعالى جعـل هـذه الأرض الـتي تجن عليهـا سبعة أقاليم (أي سبع قارات هي قارات العالم المعروفة)، واصـطفى من عبـاده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال وجعل لكل بـدل إقليمـاً يمسـك اللـه وجـود ذلـك الإقليم به فالإقليم الأول يـنزل الأمـر إليـه من السـماء الأولى الـتي هي السـابعة وينظر إليه روحانية كوكبها والبـدل الـذي يحفظـه هـو على قلب الخليـل إبـراهيم عليـه السـلام والإقليم الثـاني يـنزل الأمـر إليـه من السـماء الثانيـة ويـنزل إليـه الروحانية كوكبها الأعظم والبـدل الـذي يحفظـه على قلب موسـى عليـه السـلام والإقليم الثالث ينزل إليـه الأمـر الإلهي من السـماء الثالثـة وينظـر إليـه روحانيـة كوكبها البدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحـيى بتأييـد الرابعـة قلب الأفلاك كلها وينظر إليه روحانية كوكبهـا الأعظم والبـدل الـذي يحفظـه على قلب إدريس عليه السلام وهو القطب الـذي لم يمت إلى الآن والأقطـاب فينـا نوابـه كمـا مـر والإقليم الخامس ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله بـه هـذه الأقـاليم على قلب يوسـف عليـه السـلام بتأييـد محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم والإقليم السـادس يـنزل الأمـر عليـه من السـماء السادسة وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظـه على قلب عيسـى روح الله ويحيى عليهمـا السـلام والإقليم السـابع يـنزل الأمـر إليـه من السـماء الـدنيا وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام.

قال الشيخ: وقد اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بمكة خلـف حطيم الحنابلـة حيث وجدتهم يركعـون هنـاك فسـلمت عليهم وسـلموا علي وتحـدثت معهم فمـا رأيت أحسن منهم سمتاً ولا أكثر شغلاً منهم بالله عز وجل، وما رأيت مثلهم إلا سـقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسياً رضي الله عنه وقد أطـال الشـيخ الكلام على أصـحاب الـدوائر من الأوليـاء في الثـالث والسـبعين من الفتوحـات فراجعه والله أعلم" انتهى منه بلفظه (اليواقيت والجواهر ج2 ص83).

وهكذا استطاع المتصوفة نقل عقائد الصابئة الـذي كـانوا في عهـد إبـراهيم عليـه السلام وهم عبدة النجوم والكواكب الذين يؤمنون بأن لكل كوكب روحاً يتصـرف في الخلق، وصوروا تماثيل لروحانية القمر والشمس والمشتري والزهـرة.. الخ..

وعبـدوها.. نقـل الصـوفية هـذه العقائـد الوثنيـة الجاهليـة إلى الفكـر الإسـلامي وجعلوها عقيدة من عقائد المتصوفة ومن أجل ذلك قال ابن عربي :

عقد البرية في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وما ذلك إلا لأنه يؤمن أنه ليس إلا الله في الكون !!!!

مدة حكم القطب ووظيفته:

ويستمر ابن عربي في تخريفاته فيذكر لنا مـدة حكم القطب والأعمـال المنوطـة به فيقول كما نقل الشعراني:

"(فإن قلت) فهل مدة معينة للقطبية إذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي؟

(فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكـثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة فإنها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها. وذكر الشيخ في الباب الثـالث والسـتين وأربعمائـة أن كـل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل، ثم تنسـخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما لـذلك القطب من الحكم والتـأثير في العـالم فمن الأقطـاب من يمكث في قطبيتـه الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشـهر ومنهم من يمكث فيهـا ثلاث سـنين ومنهم كمـا يؤيـد ذلك مدة خلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فإنهم كـانوا أقطابـاً بلا شـك" انتهى (اليواقيت والجواهرج2 ص83).

ابن عربي القطب الأعظم:

وبالطبع بعد أن يصف ابن عـربي كـل هـذا الوصـف الخـرافي للأقطـاب والأبـدال والأوتاد فلا بد أن يخص نفسه بلقب من هـذه الألقـاب. وتـأبى كرامـة ابن عـربي طبعاً أن يختار لقباً دوناً، أو مرتبـة صـغيرة فيعلن عن نفسـه أنـه القطب الأعظم الذي لا أعظم منه أبداً يقول بالنص:

"لا أعرف في عصري هذا أحداً تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك لأنـني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الإرث لرسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم فأنـا العبـد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طمعـاً، وقـد منحـني اللـه تعـالى هـذا المقـام هبـة منـه، ولم أنلـه بعمـل وإنمـا هـو اختصـاص إلهي" (اليواقيت والجواهر ص65،66)..

فانظروا أين يضع ابن عربي نفسـه، إنـه يضـعها في القمـة العليـا الـتي لا تـدانيها قمة، ويدعي كـذباً مـع ذلـك أنـه نـال ذلـك باختصـاص إلهي حـتى لا يطالبـه أحـد بمسوغات هذا الاختيار ومؤهلاته.

وهكذا يعلن ابن عربي نفسه ملكاً متوجاً على مملكة الباطن التي صورها الخيـال الشيطاني المـريض لهـذه العقليـة الصـوفية، ويجعـل من نفسـه قطب الأقطـاب ووارث الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلم الأعلام، ويتبعه على هذا كـل شـيوخ التصوف الذين جاؤوا بعده فيجعلون منه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر..

وهكـذا اسـتطاع هـذا الزنـديق دارس الفلسـفة والـديانات القديمـة، وتخريفـات الجاهلية في كل العصور أن يجمع كل ما درسه وينسج منه عقيـدة وثنيـة جاهليـة حمقاء ويلبسها بإتقان وثعلبية نادرة الآيات والأحـاديث القرآنيـة فـتروج بـذلك بين

أيدي جهلة المسلمين، ويتاجر بها مجموعة الشياطين الذين قادوا هذا الفكر الصوفي المنحرف عبر القرون، والذين برروا له كل هذا الكفر والانحراف.

وهكذا أخي المسلم تدرك الفارق بين الولاية الإسلامية القرآنية، وبين ولاية هؤلاء الشياطين فأولياء الرحمن وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً* والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً* والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جنهم إن عذابها كان غراماً* إنها ساءت مستقراً ومقاماً} (الفرقان:63-66).

فانظر كيف يمضون ليلهم كلهم في الصلاة ويستغفرون الله بعد ذلك ويخافون من عذاب النار مع ذلك، واسمع قوله تعالى: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون* والذين هم بربهم لا يشركون* والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون} (المؤمنون:57-61).

فهؤلاء هم أولياء الله حقاً خائفون من ربهم مشفقون من عذابه، مؤمنون بربهم الواحد سبحانه وتعالى الذي ليس له ند ولا شريك ولا ظهير ولا معين، ومع كل ذلك يصلون ويصومون ويخافون أن لا يتقبل الله أعمالهم.. أين هؤلاء الأولياء الصادقون من أولياء الشيطان الذين يزعمون أن الله ملكهم الدنيا والآخرة، وأن الله أمنهم من كل خوف، وأنه صرفهم في العالم العلوي والسفلي وأن الله عقد لهم ألوية المجد والعز وجعلهم جلساءه وخاصته، وعقد لهم الولاية في السماء وبايعتهم الملائكة هناك.. الخ.

أين الولاية الإسلامية من ولاية الشياطين المتقولين على الله، الذين لم يتركوا صفة واحدة لله إلا نسبوها إلى أنفسهم، الذين لم يجعلوا لله تصريفاً إلا بهم، ولا رحمة إلا منهم، ولا إحساناً إلا من عندهم، ولا قدر ة إلا بوساطتهم، ومهما أفاض الإنسان في وصف وقاحة هؤلاء الشياطين فلن يبلغ عشر معشار ما يستحقون ولن يكتب أيضاً شيئاً قريباً مما سودته أيديهم في الافتراء على الله والكذب على رسله الكرام.. هؤلاء الرسل الذين قال الله لأشرفهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون} (الأعراف:188).

والذي كان يقول هو صلى الله عليه وسلم [والله إني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً] (رواه البخاري).

وكان يقول أيضاً [واعلموا أنه لا يدخل أحدكم الجنة بعمله]، قالوا ولا أنت يا رسول الله، قال: [ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل] (متفق عليه).

فأين هذا مما يفترون ويقولون (لو بصقت على النار لأطفأتها)!!! ومن يقول (أعطاني الله التصريف في الخلق)!! ومن يقول (سبحاني ما أعظم شأني)!!! ومن ومن؟..

أين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان.. شتان.. شتان..!!!

الفصل الثاني عشر

ختم الولاية

نشأ في الفكر الصوفي منذ القرن الثالث الهجري دعـوى كاذبـة وهي أن الأوليـاء يختمون كما أن الأنبياء لهم نبي خـاتم. وأول من أظهـر هـذه الفكـرة ودعـا رجـل يسمى محمد بن علي بن الحسـن الترمـذي -ويسـمونه الحكيم- وجـد في أواخـر القرن الثالث الهجري وهو مجهول سنة الولادة والوفاة. ولقد ألف كتابـاً في هـذا أسماه (ختم الأولياء) يقول في هذا الكتاب المذكور؛

"وما صفة ذلك الولي، الذي له إمامة الولاية ورياستها وختم الولاية؟

قال: ذلك من الأنبياء قريب، يكاد يلحقهم.

قال: فأين مقامه؟

قـال: في أعلى منـازل الأوليـاء، في ملـك الفردانيـة، وقـد انفـرد في وحدانيتـه، ومناجاته كفاحاً في مجالس الملك، وهداياه من خزائن السعي.

قال:وما خزائن السعي؟

قال: إنما هي خزائن ثلاث: خـزائن المنن للأوليـاء، وخـزائن السـعي لهـذا الإمـام القائد، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام، فهذا خاتم الأولياء مقامه من خزائن المنن، ومتناوله من خزائن القرب: فهو في السعي أبداً فمرتبتـه ههنـا، ومتناولـه من خـزائن الأنبيـاء عليهم السـلام، قـد انكشـف لـه الغطـاء عن مقـام الأوليـاء ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم" (ختم الولاية).

وقد تدرج الترمذي هذا في دعواه تلك تدرجاً إبليسياً خبيثاً حيث هـو يجابـه العـالم الإسلامي بمثل هذه العقيـدة الفاسـدة، فيتـذرع لنشـر عقيدتـه الباطلـة بتحريـف النصوص القرآنية والحديثية فيزعم أن للأولياء البشرى في الحياة الـدنيا مسـتدلاً بقولـه تعـالى: {ألا إن أوليـاء اللـه لا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون* الـذين آمنـوا وكانوا يتقون* لهم البشرى في الحياة الـدنيا وفي الآخـرة لا تبـديل لكلمـات اللـه ذلك هو الفوز العظيم} (يونس:62-64). وأن الرسول بشر بعض أصحابه بالجنة، وأنه صلى الله عليـه وسـلم قـد أخـبر البشـرى باقيـة في الرؤيـا، أقـول.. يتـذرع الترمذي بهذه النصوص من القرآن والسنة الصحيحة ليبث في عقائـد المسـلمين أن الولاية لا تنقطع وأن فضل الله على هذه الأمة لا يتوقـف، وأن البشـرى باقيـة بعد الرسالة، وأن الأولياء يصـلون إلى معرفـة الحـق لأن اللـه في زعمـه كشـف عنهم الحجاب كلها ويقول في هذا الشأن بالنص:

"فهذه الطبقة التي يكبر في صدورهم (يعـني علمـاء السـنة الـذين ينكـرون هـذه الترهات والأكاذيب) بلوغ الأولياء هـذا المحـل من ربهم فيـدفعون هـذا لجهلهم، لا يعلمون أن لله عبـاداً أغرقـوا في بحـر جـوده، فجـاد عليهم، بكشـف الغطـاء عن قلوبهم، عن عجـائب، وأطلعهم من ملكـه مـا نسـوا في جنبـه كـل مـذكور، حـتى تنعموا به في حجبه الربانية" (ختم الأولياء ص386).

ثم يسـتطرد الترمـذي أيضـاً عائبـاً على من يعيب على المتصـوفة هـذه الـدعاوي الباطلة فيسميهم علماء حطامين أي أهل دنيا، وتارة بلعامين -نسبة إلى بلعام بن باعوراء- اليهودي الذي يذكر المفسرون أن الله أنزل في شأنه {واتـل عليهم نبـأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منهـا فأتبعـه الشـيطان فكـان من الغـاوين} (الأعـراف: 175).

ثم يدعي الترمـذي بعـد ذلـك للأوليـاء أنهم يخـبرون ويغـترفون ممـا يغـترف منـه الأنبياء. وأن الأولياء يبشرون (بالبناء للمجهول) كما يبشـر الأنبيـاء ويـرد على من يحتج عليهم أيضاً بقوله تعالى {فلا يأمن مكـر اللـه إلا القـوم الخاسـرون} انظـر إليه يقول:

"فإذا ذكر شأن الأولياء قدروا أحوالهم على ما يـرون من أمـور نفوسـهم فكـذبوا نعم اللـه تعـالى، ودفعـوا منـه وجهلـوا أمـره. فهـذا من أعظم الفريـة على اللـه تعالى..

قال له قائل: فإن بعضـهم احتج بقولـه (تعـالى): {فلا يـأمن مكـر اللـه إلا القـوم الخاسرون} (.. وقال: إن الأمن من مكر الله أو ضلال هذه الطبقـة، وهـذا يـؤدي إلى الزندقة). - وقـال تعـالى {قـل لا يعلم من في السـماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون}..

والمحبة والسعادة والشقاوة غيب عنـد اللـه تعـالى، لا يعلم إلا هـو، .. وزعم أنـك نـاظرت يحـيى بن معـاذ في ذلـك حـتى بقي متحـيراً.. وأن هـذه الطبقـة تقـدم نفسها على الأنبياء..

قال له: أما قوله تعالى: {فلا يأمن مكـر اللـه إلا القـوم الخاسـرون} فهـذا قولـه تعالى، لا ريب فيه ولا في قبوله. وهو أنه لا يعلم ما حاله عند الله تعالى فإن أمن فهو خاسر جاهل. كأنه حكم على الله من غـير أن يحكمـه. فأمـا من بشـره اللـه فرد بشراه فقد اجترم، كما اجترم ذلك الآخر، فهـذا من ذلـك الوجـه، فحـق على من لا يعلم، أن لا يأمن، وحق على من أمن أن يأمن، فليس الأنبياء عليهم السلام كـانوا يؤمنـون (من أنفسـهم) ولكن لمـا أمِّنـوا أمِنُـوا والأنبيـاء لهم عقـدة النبـوة والأولياء لهم عقدة الولاية.." أ.هـ (ختم الأولياء ص387-388).

ويستطرد الترمذي مجيباً في زعمه على من يقول للمتصـوفة في دعـاواهم هـذه أن هـذا ادعـاء لعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا اللـه، فيجيب الترمـذي على ذلـك بجواب عجيب حيث يقول:

"وأما قوله {لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} فعلم الغيب عنـد الله، وكم من غيب أطلع الله عليه رسوله فأية حجة في هذا؟ وإنما يريد أن يروج بمثل هذا الأغبياء. وكم من غيب أطلع الله عليه أهل الإلهام حتى نطقوا به وأهـل الفراسة..".

وبالطبع يمهد الترمذي لهذا كله الـذي يهـدم بـه الـدين من أساسـه بـأن اللـه في زعمه قد أعطاه الدليل على أن هذا الوحي المزعوم صدق، فيقـول رداً على من ينكر ذلك عليهم:

"ويقال (له أيضاً): ما قولك في محدِّث، بشر بالفوز والنجاة فقال: رب اجعـل لي آية تحقق لي ذلك الخبر الذي جاءني، لينقطع (الشك والاعتراض) فقال: آتيـك أن أطوي لك الأرض حتى تبلـغ بيـتي الحـرام في ثلاث خطـوات، وأجعـل لـك البحـر كالأرض تمشي عليه كيف شئت، وأجعل لك التراب والجو في يديك ذهباً.. ففعـل هذا فهل ينبغي له أن يطمئن إلى هذه البشرى، بعد ظهور هـذه الآيـة أم لا؟ فـإن قال: لا، فقد عاند واجترأ على الله وحلت به دائـرة السـوء. وإن قـال: نعم. فقـد ذهب قوله واحتجاجه الظلماني" (ختم الأولياء ص401).

ثم يبالغ الترمذي بعد ذلك في وصف هذا الولي المزعـوم الـذي يـدعي أنـه خـاتم الأوليـاء فيقـول في ص406 من المصـدر المـذكور (ختم الأوليـاء): "فهـذا سـيد

الأولياء وأمـان أهـل الأرض ومنظـر أهـل السـماء، وخالصـة اللـه وموضـع نظـره وسوطه في خلقه" أ.هـ

وأن هذا الذي حصل عليه ذلك الولي إنما كان باجتباء من الله ومنة منه فهو الذي جذبه إليه، وأراد به ذلك.. ثم يسأل الترمـذي سـؤالاً يجيب عنـه وهـو كيـف تقـدم الختم هذا الأولياء فيقول (ختم الأولياء ص421):

"قال: فيم تقدم الأولياء واحتاجوا إليه؟

قال: بأن أعطي ختم الأولياء. فبالختم تقدمهم، فصار حجة الله على أوليائه، وقـد ذكـرت في أول الكتـاب سـبب الختم.. (وهـو) أن النبـوة أعطيت الأنبيـاء عليهم السلام، ولم يعطوا الختم فلم تخل تلك الحظـوظ من هنـات النفس ومشـاركتها، وأعطي نبينا وختمت له نبوته. كالعهد الذي يكتب ثم يختم، فلا يصـل أحـد إلى أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه، وقد وصفت شأنه فيما تقدم.

وكذلك هذا الولي سير به (الله تعالى) على طريق محمد صلى الله عليـه وسـلم، بنبوته، مختوماً بختم الله، فكمـا كـان محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم حجـة على الأنبياء فكذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء، أعطيتكم ولايـتي فلم تصـونوها من مشاركة النفس. وهذا أضعفكم وأقلكم عمـراً قـد أتى بجميـع الولايـة صـدقاً، فلم يجعل للنفس فيها نصيباً ولا تلبيساً.

وكان ذلك في الغيب من منة الله تعالى على هذا العبد، حيث أعطـاه الختم لتقـر به عين محمد صلى الله عليه وسلم، في الموقف حتى قعد الشيطان في معزل، وليسـت النفس فبقيت محجوبـة، فيقـر لـه الأوليـاء يومئـذ بالفضـل عليهم. فـإذا جاءت تلك الأهوال لم يك مقصـراً. وجـاء محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم بـالختم فيكون أماناً لهم من ذلك الهول. وجاء هذا الولي بختمه فيكـون أمانـاً لهم بصـدق الولاية، فاحتاج إليه الأولياء.." أ.هـ

وهكذا يجعل الترمذي لهذا الولي المزعوم ما جعله اللـه لنبينـا محمـد صـلى اللـه عليه وسلم.. وصدق الله سبحانه وتعالى في شأن المشركين {بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة} (المدثر:52).

وهؤلاء الزنادقة يريد كـل منهم أن يـوحى إليـه كمـا يـوحى إلى الرسـول، بـل لم يتركوا فضلاً مما فضل الله به عبـده ورسـوله محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم إلا انتحلوه لأنفسهم بل زادوا عليه، واحتقروا منزلة الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم إلى المنازل التي يزعمون أن الله قد بلغهم إياها.

لقد وضع الترمذي المسمى بالحكيم في الكتاب (ختم الولاية) بذور الشر الكـبرى في الفكر الصوفي، وكل الذين جاؤوا بعده إنما هم عيـال عليـه وتبـع لـه في كـل هـذا الباطـل الـذي بثـه في كتابـه، وخاصـة في مسـألة الختم الولايـة فلم يـأت متصوف بعد الترمذي هذا من مشهوري المتصوفة إلا وادعى ختم الولاية لنفسـه. وها أنذا أسوق بعضاً من ذلك.

ابن عربي وختم الولاية:

يقول ابن عربي المتوفي سنة 638هـ مدعياً لنفسه ختم الولاية:

"وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب. من أكرمهـا أصـلاً ويـداً. وهـو في زماننـا اليـوم موجـود. عـرفت بـه سـنة خمس وتسـعين وخمسـمائة ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه من عباده، وكشـفها لي بمدينـة فـاس، حـتى

رأيت خاتم الولاية منه –وهو خاتم النبوة المطلقة- لا يعلمها كثير من النـاس وقـد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليـه فيمـا يتحقـق بـه من الحـق في سـره من العلم بـه. وكما أن الله ختم بمحمد صلى اللـه عليـه وسـلم نبـوة الشـرائع كـذلك ختم اللـه بالختم المحمدي الولايـة الـتي تحصـل من الـورث المحمـدي لا الـتي تحصـل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من إبراهيم وموسى وعيسى، فهـؤلاء يوحـدون بعـد الختم المحمدي، وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، هذا معنى خاتم الولاية المحمدية" (الفتوحات ج2 ص49).

ويقول في موضع آخر من فتوحاته الضـالة: "ومنهم (يعـني الأوليـاء) الختم، وهـو واحد لا في كل زمـان، بـل واحـد في العـالم يختم اللـه بـه الولايـة المحمديـة فلا يكون في الأولياء المحمدية أكبر منه" (الفتوحات ج2 ص9).

وهذه العقيدة المفتراة التي لم يأت بهـا كتـاب ولا سـنة، وإنمـا افتراهـا الترمـذي وجاء هؤلاء الملاحدة لينسجوا على منواله، وكـل منهم يريـد فيهـا شـيئاً، فبـالرغم من أن الترمذي لم يفضل خاتم الأولياء المزعوم هذا على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم فإن ابن عربي جاء من بعده لـيزعم أن خـاتم الأوليـاء -يعـني نفسـه- أفضل من خاتم الأنبياء محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وذلـك بنـاء على تفضـيله الولي على النبي كما قال في شعره:

مقام النبوة في برزخ　　　　فويق الرسول ودون الولي

ويأتي إلى حديث النبي صلى اللـه عليـه وسـلم الـذي رواه البخـاري ومسـلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [مثلي ومثـل الأنبيـاء من قبلي كمثـل رجـل بـنى بيتـاً فأحسـنه وأجملـه، ويعجبـون لـه ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين].

فيزعم أن اللبنة التي رآها الرسول هي لبنة فضة، وأما خاتم الأولياء فإنه يرى أن الجدار قد نقص لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب،وأنـه يـرى نفسـه قـد انطبـع موضـع هاتين اللبنتين. يقول ابن عربي: "ولما مثل النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم النبـوة بالحائط من اللبن، وقد كمل سوى موضع لبنة، فمكان الرسول صـلى اللـه عليـه وسلم تلك اللبنة، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال: لبنة واحــدة. وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثلـه بـه رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع اللبنتين واللبن، من ذهب وفضة. فلا بــد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنــتين، فيكمل الحائط".

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين، أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ظاهره وما يتبعـه فيـه من الأحكـام. كمـا هـو آخـذ عن الله، في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيـه من الأحكـام، كمـا هـو آخـذ عن الله، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه - فلا بـد أن يـراه هكـذا، وهـو موضـع اللبنـة الذهبية في الباطن، فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الـذي يـوحى بـه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فصوص الحكم أ.هـ الفص الشيسي.

والذين جـاؤوا بعـد ابن عـربي من المتصـوفة السـائرين في هـذا الـدرب المظلم رددوا هذه العقيدة في كتبهم وزاد كثير من مشايخهم فزعم لنفسـه هـذه الولايـة الكبرى التي يتم بها -في زعمهم- الولاية، وقد تصدى الإمام ابن تيمية رحمه اللــه تعالى ورضي الله عنه لهذه المزاعم في أماكن كثيرة من كتبه ومن ذلك قوله:

"وكذا خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له. وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي. وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حموي، وابن عربي، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعاً في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما" (الفتاوي: ج11 ص444).

وقال رحمه الله أيضاً:

".. إن دعوى المدعي وجود خاتم الأولياء، على ما ادعوه، باطل لا أصل له، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب وهو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والإجماع. وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة، ومن الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة (قلت: رحم الله ابن تيمية: أي شيء محمود في كتابه وقد بناه من أوله لآخره على أن الأولياء معصومون، وأن الله هو يختصهم ويختارهم، وأن التكليف ليس شرطاً في ولايتهم، وأنهم يعلمون الغيب كله.. بل أسس في كتابه ختم الولاية كل أصول الشر لمن جاء بعده)، ففي كلامه من الخطأ ما يجب رده.

ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية: مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبو بكر وعمر وغيرهما: ثم إنه تناقض في موضع آخر، لما حكى عن بعض الناس، أن الولي يكون منفرداً عن الناس، فأبطل ذلك واحتج بأبي بكر وعمر وقال: يلزم هذا أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر" (وأبطل ذلك).

ومنها أنه ذكر في كتابه ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة، ولو أنها التطوعات المشروعة، أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية، وهذا أيضاً خطأ عند أئمة الطريق. فإن أكمل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وما زال محافظاً على ما يمكنه من الأوراد والتطوعات البدنية إلى مماته..

وقال أيضاً:

"ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء، الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء، الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء، وأنه يكون معهم خاتم الأنبياء مع الأنبياء، وهذا ضلال واضح، فإن أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأمثالهم، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما ثبت ذلك بالنصوص

المشهورة، وخير القرون قرن صلى الله عليه وسلم، كما في الحـديث الصـحيح: [خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]..

ولفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمـة ولا أئمتهـا، ولا لـه ذكـر في كتاب الله ولا سنة رسوله، وموجب هذا اللفظ أنـه آخـر مـؤمن تقي، (ومهمـا يكن الأمر) فإن الله يقـول: {ألا إن أوليـاء اللـه لا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون} الآيـة.، فكـل من كـان مؤمنـاً تقيـاً كـان للـه وليـاً. وهم على درجـتين: السـابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فـاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين..

وإذا كـان خـاتم الأوليـاء آخـر مـؤمن تقي في الـدنيا، فليس ذلـك الرجـل أفضـل الأوليـاء ولا أكملهم، بـل أفضـلهم وأكملهم سـابقوهم، الـذين هم أخص بأفضـل الرسل من غيرهم..".

وقد رد الإمام ابن تيمية رحمـه اللـه أيضـاً على مـا ادعـاه الترمـذي (الحكيم) في ثبوت العصمة للأولياء بقوله:

".. وإن طائفـة تـدعي على أن الـولي محفـوظ وهـو نظـير مـا يثبت للأنبيـاء من العصـمة -والحكيم الترمـذي قـد أشـار إلى هـذا- فهـذا باطـل مخـالف للسـنة والإجماع، ولهذا اتفق المسلمون على أن من الناس من يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم.. وبهذا صار جميـع الأوليـاء مفتقـرين إلى الكتـاب والسنة، لا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول فمـا وافـق آثـار الرسـول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل..".

وقال أيضاً: "ثم إن صاحب الفصوص (يعني ابن عربي) وأمثاله بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا وساطة والنـبي يأخـذ بوسـاطة الملـك. ولهـذا صـار خـاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة، وهذا باطل وكـذب فـإن الـولي لا يأخـذ عن الله إلا بوساطة الرسول وإن كان محدثاً (يشير الإمام ابن تيميـة بقولـه (محـدثاً) إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي اللـه عنهـا عن النـبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقـول [قـد كـان يكـون في الأمم قبلكم محـدثون فإن يكن في أمتي منم واحد، فإن عمر بن الخطاب منهم] قال ابن وهب: تفسير محدثون أي ملهمون (متفق عليه))، فقد ألقي إليه بشيء وجب عليه أن يزنه بما جاء الرسول من الكتاب والسنة" أ.هـ

ولا يظنن ظان أن قول الإمام ابن تيمية أن الولي يكون (محـدثاً) أن اللـه يكلمـه، وإنما ذلك مجرد الإلهام الـذي لا يسـتطيع الـولي بـأن يجـزم بأنـه من اللـه أو من الشيطان إلا بعرضه على ميزان الكتاب والسنة. وباطمئنان قلب المـؤمن المتبـع لشرع الله إلى مثل هذا الإلهام، وأما هذه المخاريق والخزعبلات والكفر والزندقة التي جاء بها المتصوفة فليست إلا وساوس شياطين إذ كيف يكون إلهاماً من الله وهو يدعي أنه خاتم الأولياء وأنه أفضل من محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنـه يعلم الغيب كله وأنه يتصرف في الأكوان.. الخ هذه الكفريات. ولذلك قال الإمـام ابن تيمية في هذا الصدد:

"والأولياء وإن كان فيهم محدث، كمـا ثبت في الصـحيحين عن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم أنه قال [إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فـإن يكن في أمـتي منهم فعمر] فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هـذه الأمـة عمـر، وأبـو بكـر أفضل منه إذ هو صديق، والمحـدث وإن كـان يلهم ويحـدث من جهـة اللـه تعـالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فإنه ليس بمعصوم.." أ.هـ

ولا شك بعد هذا أن دعوى ختم الولايـة هي من الكفـر الصـريح الـذي لا يجـوز أن يماري فيها مؤمن يعي عن الله وعن الرسول صلى الله عليه وسـلم لا سـيما إذا انضاف إلى ذلك الزعم بتفضيل خاتم الأولياء هـذا على خـاتم الأنبيـاء صـلى اللـه عليه وسلم. وقد نص ابن تيمية رحمه الله في مواطن كثـيرة على كفـر من زعم ذلك كقوله:

"ومن الأنواع التي في دعواهم، أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من بعض الوجوه، فإن هذا لم يقله أبو عبدالله الحكيم الترمذي (قلت: حقاً لم يقل هذا نصاً ولكن ما وصف به خاتم الأولياء المزعوم يجعله في منزلة فوق النـبي نفسـه) ولا غيره من المشايخ المعروفين. بل الرجل أجل قدراً وأعظم إيمانـاً من أن يفـتري هذا الكفر الصريح ولكن أخطأ شبراً ففرعوا على خطئه ما صار كفراً.

وأعظم من ذلك زعم (ابن عربي) أن الأولياء والرسل، من حيث ولايتهم، تـابعون لخاتم الأولياء وأخذوا من مشـكاته. فهـذا باطـل بالعقـل والـدين فـإن المتقـدم لا يؤخذ من المتأخر، والرسـل لا يأخـذون من غـيرهم، وأعظم من ذلـك أنـه جعلهم تابعين له في العلم بالله، الذي هو أشـرف علـومهم، وأظهـر من ذلـك أنـه جعـل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود، القـائلين بـأن وجـود المخلـوق هـو عين وجود الخالق!

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة (!!..).

فقد زعم أنه أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأن تقدمـه عليـه بـالعلم باللـه، وتقـدم خـاتم الأنبيـاء بالتشـريع فقـط. وهـذا من أعظم الكفـر الـذي يقـع فيـه غاليـة المتفلسفة، وغالية المتصوفة، وغالية المتكلمة، الـذين يزعمـون أنهم في الأمـور العلمية أكمل من الرسل.. وأن الرسل إنما تقـدموا عليهم بالتشـريع العـام الـذي جعل لصلاح الناس في دنياهم. وقد يقولون إن الشـرائع قـوانين عدليـة، وضـعت لمصـلحة الـدنيا، فأمـا المعـارف والحقـائق والـدرجات العليـا في الـدنيا والآخـرة فيفضـلون فيهـا أنفسـهم وطـرقهم على الأنبيـاء وطـرق الأنبيـاء" (حيـق مـذهب الاتحاديين لابن تيمية ص115-123).

وأظن بعد هذا الكلام الصريح الواضح والدليل الناصع لا يرتاب مسلم مؤمن باللـه في كفر هذه الطائفة المارقة الـتي فتحت البـاب لكـل زندقـة وكفـر ليـدخل دين الإسلام، وللأسف إن ذلك كل يحـدث باسـم التقـوى والصـلاح والزهـد والتصـوف والتعبد وإصلاح القلوب، والوصول إلى غاية الدين. وهـؤلاء المتصـوفة في حقيقـة أمرهم متبعون في دينهم للملاحدة الذين أرادوا هدم الدين.. واقرأ مـا يقولـه ابن تيمية أيضاً في ذلك:

"ولهـذا كـان الملاحـدة من المتصـوفة على طـريقهم، كـابن عـربي وابن سـبعين وغيرهما، قـد سـلكوا مسـلك ملاحـدة الشـيعة، كأصـحاب رسـائل إخـوان الصـفا واتبعوا ما وجدوه من كلام صاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها وغـير ذلـك مما يناسب ذلك، فصار بعضهم يرى أن باب النبوة مفتوح لا يمكن إغلاقه. فيقـول كما كان ابن سبعين يقول: "لقد زَرَّبَ ابن آمنـة (ضـيق على النـاس ويعـني بـابن آمنة رسول الله صلى الله عليـه وسـلم) ، حيث قـال [لا نبـوة بعـدي]"! أو يـرى، لكونه أشد تعظيماً للشريعة، أن باب النبـوة قـد أغلـق؛ فيـدعي أن الولايـة أعظم من النبوة وأن خاتم الأولياء أعلم باللـه من خـاتم الأنبيـاء، وأن خـاتم الأنبيـاء بـل وجميع الأنبياء إنما يستفيدون معرفة الله من مشـكاة خـاتم الأوليـاء. ويقـول إنـه يوافق النبي في معرفة الشريعة العملية لأنه يرى الأمر على ما هو عليـه، فلا بـد

أن يراه هكذا، وأنه أعلم من النبي بالحقائق العلمية لأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذي يوحى به إلى الرسول..

فمحمد عندهم يأخذ من الملك الذي هو عندهم خيال في نفسه، وذلك الخيال يؤخذ عن العقل. فمحمد عندهم يأخذ عن جبريل وجبريل يأخذ عن ما علمه من النفس الفلكية، فزعم ابن عربي أنه يأخذ من العقل، وهو المعدن الذي يأخذ منه جبريل فإن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة، ويذمون طرق النظر والقياس وما يدعونه من الكشف والمشاهدة، عامته خيالات أنفسهم، ويسمونه حقيقة.." (الرد على المنطقيين، لابن تيمية ص 486-489).

محمد عثمان الميرغني وختم الولاية:

وممن ادعى ختم الولاية لنفسه محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفي سنة 1268هـ.

والذي كان يقول عن نفسه "من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار! ولا حرج على ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء" (انظر تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني ص4).

وسمى نفسه الختم، أو خاتم الأولياء، وجعل هذا الاسم أيضاً علماً على طريقته الصوفية حيث سماها (الختمية) أي خاتمة الطرق جميعاً!! ومما يدعيه في تفضيل نفسه على سائر الأمة جميعاً بمن فيهم أبو بكر عمر ما يقوله في كتابه الذي سماه تاج التفاسير ص137 عند قوله تعالى: {أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس} يقول:

"ولما وصلت في التفسير إلى هذا الموضع رأيت في تلك الليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم في محفل من الرسل الكرام ويقول لي الأنبياء من نوري، وطارت نقطة نور منه فتخلق منها صورة سيدنا إسماعيل الذبيح فقال لي هكذا خلقوا من نوري والأولياء من نور الختم ثم رأيته تلك الليلة عن يمينه جبريل وعن يده اليسرى ميكائيل وأمامه الصديق وخلفه الإمام علي، فقال لي صلى الله عليه وسلم بعد أن دنوت منه وقبلت جبهته الكريمة: ما قام بأمر الله والمؤمنين أحد بعدي مثلك شكر الله سعيك فقلت له يا رسول الله، فقال تعبت في المؤمنين ونصحتهم ما تعب فيهم أحد بعدي مثلك فقلت له أأرضاك ذلك؟ قال أرضاني وأرضى الله من فوق سبع سماواته وعرشه وحجبه. ثم نادى رضوان فقال يا رضوان: عمر جناناً ومساكن لابني محمد عثمان وأبنائه وصحبه وأتباعه، وأتباع أتباعه إلى يوم القيامة: ثم قال يا مالك فحضر فقال عمر: في النار مواضع لأعداء محمد عثمان إلى يوم القيامة. وأطال الكلام في الواقعة ونسأل الله التوفيق لشكر النعم بحق المصطفى صاحب الأسرار الجامعة" أ.هـ منه بلفظه..

وفي هذه الرؤيا المزعومة كل الكفر والشرك. فالأنبياء لم يخلقوا من نور الرسول كما زعم في رؤياه بل النبي صلى الله عليه وسلم بشر كسائر الناس في البشرية لقوله تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} (الكهف:110).

فليس مخلوقاً من نور كما زعموا بل من يقول هذا يجعل الرسول جزءاً من اللـه وهذا كفر كما قـال اللـه للمشـركين: {وجعلـوا لـه من عبـاده جـزءاً إن الإنسـان لكفور مبين}.

فمن قال إن الرسول خلق من نور الله فهو كافر، ومن قال أيضـاً خلـق من نـور عرش الله فهو كافر متقول على الله ما لم يقل، متقول على رسول اللـه مـا لم يقله. وأما الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله والذي فيه أن جابراً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أول خلق الله؟ فقال: نور نبيك يا جابر، فهـو حديث موضوع باتفاق أئمة الحديث جميعاً على وضعه وأنـه كـذب محض مخـالف لما صح عن الرسول صلى الله عليـه وسـلم من حـديث ابن عمـر أن أول شـيء خلقه الله سبحانه وتعالى هو القلم فقال له اكتب. قال وما أكتب؟ قـال اكتب مـا كان وما يكون إلى يوم القيامة. (متفق عليه)، وأمـا قولـه الأوليـاء قـد خلقـوا من نور الختم!! يعـني محمـد عثمـان الميرغـني فهـذا ليس كـذباً فقـط ولكنـه كـذب وصفاقة وسخافة تضحك العقلاء، فما النور الذي كان مع محمد عثمان حتى يخلق الله منه جميع الأولياء!! ومتى كان الأولياء قد خلقوا من نور، والملائكة هم الذين خلقهم الله من النور!! وأما الأولياء والأنبياء فبشـر كالبشـر فضـلهم اللـه بعبادتـه وطاعته والإيمان به. وأما الإدعاء بأن الرسول قـد أمـر رضـوان أن يبـني لمحمـد عثمان وأتباعه وذريته وأهل بيته.. الخ، هذه السخافات فشيء لم يدعيه الرسـول لنفسه فضـلاً عن أن يجعلهـا لرجـل كـان أهم مـا امتـاز بـه هـو أن مهـد الطريـق للاستعمار الإنجليزي في السودان، واستطاع أن يأكل أموال الناس بالباطل بما لا مثيل له فقـد اسـتحوذ على أمـوال البسـطاء والمسـاكين والفقـراء.. وأن يـتزوج مئات النساء وينجب عشرات الأطفال!! وأما أن الرسول صلى الله عليـه وسـلم يأمر مالكاً خازن النار أن يعمر مساكن لأعـداء محمـد عثمـان إلى يـوم القيامـة.. هكذا.. فالنبي لا يأمر ملائكة الله من عند نفسه بل قـال لـه سـبحانه: {ليس لـك من الأمر شيء}!! فلا يتصرف في الكون كما يزعمون، بل الرسـول عبـد كامـل العبودية لربه سبحانه وتعالى يتصرف بـأمر مـولاه وهـو أجـل وأعظم صـلى اللـه عليه وسلم أن يأتي لرجل في المنام ويعطيه الجنة كما يشاء له ولذريته وأتباعه، ويعطي النار لأعدائه.. هكذا.. وأين الله سـبحانه وتعـالى أن يتصـرف مخلـوق في ملكه كما يشاء المخلوق.. ودون الرجوع إلى الخالق سبحانه وتعالى. تعـالى اللـه عن ذلك علواً كبـيراً، وحاشـا الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم مـا يفتريـه عليـه المفترون.. وهؤلاء يصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم [من أرى عينيـه ما لم تراءيا أمر يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل].

أي أن من قال: رأيت في النوم كذا وكذا وليس بذلك فهذا قـد رأى في عينـه مـا لم ترءيا، وإن كان رأى حقاً فإنما ذلك من الشيطان حتماً لأن الرسول صلى اللـه عليه وسلم لا يأت بعد مماته بما يخلف شريعته في حياته صلى الله عليه وسلم.

أحمد التجاني وختم الولاية:

وممن ادعى لنفسه ختم الولاية أيضاً بصفاقة ليس بعـدها صـفاقة أحمـد التجـاني الفاسي المتوفي سنة 1230هــ وهـذا التجـاني جـاء ليكـذب جميـع الـذين ادعـوا الختمية قبله على ألف سنة تقريباً. فإذا كـان أول من ادعاهـا هـو محمـد بن علي بن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم وكان ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري فقد جاء التجاني في القرن الثالث عشر ليكذب جميع الذين ادعوا الختميـة قبلـه وليزعم لنفسه أن الله قد ختم الأولياء به حقـاً وصـدقاً، وأن الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم قد بشره بذلك.

قال صاحب كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الشيطان الرجيم:

"قال صاحب الرماح ما نصه: وشيخنا التجاني ولد عام خمسين ومائة وألف ووقع له الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً بتربية الخلق على العموم والإطلاق سنة ألف ومائة وست وتسعين، قال أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ عاش وهو في مرتبة الختمية ثلاثين سنة وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيد أحمد بن محمد الشريف الحسني التيجاني قال: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناماً فقيل له ما معنى المكتوم؟ فقال هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي إلا في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن عربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق والإلهية وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق وقال إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلى مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة قال أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء" أ.هـ منه.

وهكذا تعلم أخي المسلم ما يتمتع به هؤلاء القوم من صفاقة وكذب سبقوا به الأولين والآخرين فهؤلاء هم يكذب بعضهم بعضاً، ويدعي كل منهم لنفسه ختم الولاية وهو شيء لم يأت في كتاب ولا سنة وإنما افتراه لهم مفتر فتتابعوا وراءه على مدى ألف ومائة سنة إلى اليوم لم أقرأ عن شيخ صوفي مشهور إلا ادعى هذا لنفسه ولكنني لم أجد أكثر كذباً وصفاقة من هذا أحمد التجاني الذي ادعى أنه قد تحقق بكل الأخلاق الإلهية وعددها ثلاثمائة خلق ولما يتحقق بها إلا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كذا، وجميع الأولياء عرفوا ظاهرها فقط وأما أحمد التيجاني (الكذاب) فقد تحقق بها تماماً، ثم تسأل أخي المسلم ما هي هذه الأخلاق فيقال لك إنها أخلاق ذوقية لا يعرفها إلا من ذاقها فقط كيف تكون الأخلاق أذواقاً يا قوم، وكيف تكون هذه هي أخلاق الله التي تخلق بها أحمد التجاني حقاً وصدقاً!!..

إن هذا المفتري لم يترك فرية من الفرى والأكاذيب التي افتراها من قبله على هذا الطريق الهالك طريق التصوف إلا افتراها هو لنفسه فقد زعم هنا أيضاً أن الله ينزل الفيوض (العلوم الغيبية) على الرسول محمد وأن الرسول محمد هو الذي يفاض منه على سائر الأنبياء، ثم يفاض من الأنبياء جميعاً على شخص أحمد التجاني فقط الذي يقوم بإمداد جميع الأولياء. بعد ذلك بهذه العلوم منذ خلق آدم وحتى النفخ في الصور!! انظر إلى هذا الكذب الملفق ما أعظمه وأشنعه. لقد افترى الفرية رجال قبله فلم يهدأ له بال حتى نسب ذلك إلى نفسه. انظر هنا إلى النص الآتي كيف يناقش من يذكر أمامه فضيلة من الفضائل المزعومة أيضاً لشيخ من شيوخ التصوف. قال صاحب الرماح أيضاً ما نصه:

"ومدده الخاص به (يعني الشيخ التجاني) إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به مشيراً بإصبعه السبابة والوسطى روحي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد وسبب ذلك أن بعض أصحابه تحاور مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كل شيوخ أخذوا عني في الغيب فحكي له ذلك فأجاب رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ما ذكر.

وقال: نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني قال قدمي هذا (كذا) على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماي هاتان جميعها (وكان متكئاً فجلس وقال) على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور" أ.هـ..

فانظر هذا الكذب والإفتراء. فإذا كان الجيلاني قد نسب إليه قوله مفصلاً لنفسه: قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى!! فإن التجاني لم يهدأ باله حتى فسر كلام الجيلاني بأن هذا في وقته فقط وأما هو فقدماه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم إلى النفخ في الصور!! فانظر إلى هؤلاء الذين يدوسون بأقدامهم على أولياء الله تعالى ويفضلون أنفسهم على هذا النحو. وهذه الكلمات منهم إن دلت على شيء فإنما تدل على مقدار الوقاحة والكذب الذي تحلى به هؤلاء، وعلى مقدار الجهل والفساد والتردي الذي وصلت إليه الأمة بأن تجعل أمثال هؤلاء المفترين الوقحين هم سادتها وقادتها ووسيلتها إلى الله وأن تملك رقابها وأموالها وعقولها لأمثال هؤلاء حيث يقودونهم إلى درب الغواية والضلال.

وقد قسم الجيلاني هذا مراتب الأولياء والأنبياء إلى سبع مراتب سماها حضرات قال فيها: الحضرة الأولى: الحقيقة المحمدية. قال: وهذه الحضرة غيب من غيوب الله تعالى لم يطلع عليها أحد ولا عرف شيئاً من علومها وأسرارها وتجلياتها وأخلاقها ولو كان من الرسل والأنبياء لأنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

والثانية الحضرة المحمدية وتمثلها الدائرة الثانية ومن هذه الحقيقة المحمدية مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين. والثالثة حضرة الأنبياء وتمثلها الدائرة الثالثة وأهل هذه الحضرة يتلقون علومهم وأحوالهم وتجلياتهم من هذه الحقيقة المحمدية وخاتم الأولياء أعني الشيخ التجاني له مشرب من هذه الحضرة مع الأنبياء فهو يتلقى المدد رأساً من النبي صلى الله عليه وسلم من حقيقته المحمدية بلا وساطة. الرابعة حضرة خاتم الأولياء وتمثلها الدائرة الرابعة وصاحب هذه الحضرة هو الشيخ أحمد التجاني فهو يتلقى كل ما فاض من ذوات الأنبياء زيادة على ما يتلقاه بلا وساطة من الحقيقة المحمدية ولذلك سمى نفسه (برزخ البرازخ).

وقال الشيخ التجاني: وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلى مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا وساطة وقال: أنا سيد الأولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء. ثم قال صاحب الرماح "ولا إطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم"!!.

الحضرة الخامسة حضرة المتبعين للطريقة التجانية المتمسكين بها. قال الشيخ التجاني في حق أهل هذه الحضرة ما نصه "لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئاً". وقال الشيخ التجاني لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ التجاني: كل الطرائق تدخل عليه (كذا) طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره وقال من ترك ورداً من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق أمنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات.

وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به مصائب الدنيا وأخرى ولا يفلح أبداً (هامش: قلت فانظر كيف يهدم كل صاحب طريق صوفي طريق غيره من الكاذبين الضالين من أمثاله. واعتبر!!). ثم قال ناقلاً عن شيخه التجاني كما هو في جواهر المعاني: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا إلا أنا وحدي. ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الدار الآخرة بشرى للمعتقد علي رغم أنف المنتقد. ثم استطرد صاحب الرماح ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب وإن كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين.

الحضرة السادسة حضرة الأولياء وتمثلها الدائرة السادسة وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا (الهدية الهادية ص36).

انظر ماذا في هذه النصوص من الكفر الصريح والمخالفة الواضحة لما هو معلوم من الدين بالضرورة، فمعلوم من الدين ضرورة أن من قال أنا في الجنة فهو في النار كما ثبت بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن هذا غيب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء لم يدعو الجنة لأنفسهم فقط بل ادعوها لكل من صدق أكاذيبهم ولو كان فاجراً عاصياً لله زيادة على الكفر بتصديقهم كأن يكون تارك الصلاة زانياً.. وجعل التجانية هذا، أعني إدخاله العصاة إلى الجنة، فضلاً أعطاه الله إياه وبلغه الرسول بذلك. فانظر.. أقول: العجيب بعد كل هذا الكفر البواح المخرج من ملة الإسلام أن يدعي المدعي أن طريقته هذه مبنية على الكتاب والسنة وأنه لم يأت قط بما يخالفها فانظر هذا التلبيس على الناس، وانظر أي فتنة فتن بها المسلمون بهذا الطريق الصوفي!؟

الفصل الثالث عشر

الديوان الصوفي الذي يحكم العالم

إكمالاً لإحكام السيطرة الخرافية على العالم، اخترع رجال التصوف بخيالاتهم الشيطانية المريضة.. اخترعوا ديواناً للأقطاب والأوتاد وسائر صنوف الأولياء عندهم ينعقد في غار حراء، وفي أماكن أخرى أحياناً ليدير هذا الديوان العالم من خلال قراراته..

وقد كفانا أحمد بن مبارك السلجماسي المغربي في كتابه الإبريز المؤنة وقد بسط وشرح بخيال لا يجارى، وبعقلية عندها قدرة عجيبة على الكذب والبهتان،

هذا الديوان العجيب على الرغم من أنـه غايـة في الكفـر والزندقـة ولا يخلـو من طرافة الخرافة. وسأحاول أن تكـون تعليقـاتي وشـرحي لبعض مـا جـاء في هـذا الديوان قليلة وذلك أنني أتصور وأعتقـد أيضـاً أن الفكـرة السـيئة يكفي لدحضـها وبيـان تفاهتهـا أن يعرفهـا النـاس فلـو أن النـاس عرفـوا الأفكـار الصـوفية على حقيقتها لما راج التصـوف وقـامت سـوقه ولكن لأنـه دائمـاً كـان يغلـف الخرافـة والكفر والشرك بالرموز والأسرار، واللـف والـدوران مـع مـا يعلنـه من التمسـك بالكتاب والسنة جعل الناس يتهافتون على ما عندهم ظناً أن عنـدهم فعلاً علومـاً جديدة وفوائد عظيمة ولكن لو أن الناس فهموا مـا عنـد المتصـوفة على حقيقتـه لتغير الحال. وهذا نمط من الأسرار الصوفية التي يـدعي المتصـوفة أنهم وصـلوا إليها. يقول السلجماسي في وصف الديوان الباطني الصوفي ما يلي:

هيئة الديوان:

"الباب الرابع في ذكر ديوان الصالحين رضي الله عنهم أجمعين.

سمعت الشيخ (يعني بالشيخ عبدالعزيز الدباغ الأمي الجاهل الذي يـدعي أنـه قـد عِلِم علمَ الأولين والآخرين جميعاً)، رضي الله عنه يقول الديوان يكون بغار حـراء الذي كان يتحنف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثـة قـال رضـي اللـه عنه فيجلس الغوث خـارج الغـار ومكـة خلـف كتفـه الأيمن والمدينـة أمـام ركبتـه اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مـذهب مالـك بن أنس رضـي الله عنه وثلاثة أقطاب عن يساره واحـد من كـل مـذهب ومن المـذاهب الأخـرى والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مـالكي أيضـاً من بـني خالد القاطنين بناحية البصرى واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي ومع الوكيل يتكلم الغوث ولذلك يسمى وكيلاً لأنه ينـوب في الكلام عن جميـع من في الـديوان. قـال والتصـرف للأقطـاب السـبعة على أمـر الغـوث وكـل واحـد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحتـه والصـفوف السـتة من وراء الوكيل وتكون دائرتها من القطب الرابع الـذي على اليسـار من الأقطـاب الثلاثـة فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة وهذا هو الصف الأول وخالطـه الثـاني على صفته وعلى دائرته وهكذا الثالث إلى أن يكـون السـادس آخرهـا. قـال ويحضـره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة الأقطـاب الثلاثـة الـتي على اليسار فوق دائرة الصف الأول فسحة هنـاك بين الغـوث والأقطـاب الثلاثـة قـال رضي الله عنـه ويحضـره بعض الكمـل من الأمـوات ويكونـون في الصـفوف مـع الأحيـاء ويتمـيزون بثلاثـة أمـور أحـدها أن زيهم لا يتبـدل بخلاف زي الحي وهيئتـه فمرة يحلق شعره ومرة يحدد ثوبه وهكـذا. وأمـا المـوتى فلا تتبـدل حـالتهم فـإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى كأن تـراه محلـوق الشعر ولا ينبت له شعر فاعلم أنه على تلك الحالة مـات، وإن رأيت الشـعر على رأسه على حاله لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق فاعلم أنـه ميت وأنـه مـات على تلـك الحالة، ثانيها أنه لا تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأمـوات قـال رضـي اللـه عنـه ومن آداب زائـر القبـور إذا أراد أن يـدعو لصـاحب القـبر ويتوسـل إلى اللـه تعالى بولي من أوليائه في إجابة دعوتـه أن يتوسـل إليـه تعـالى بـولي ميت فإنـه أنجع للمقصود وأقرب لإجابة دعوته. ثالثها أن ذات الميت لا ظـل لهـا فـإذا وقـف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً وسـره أنـه يحضـر بـذات روحـه لا بذاته الفانية الترابية وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفافة لا كثيفة قـال لي رضـي الله عنه وكم مرة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من ملجأ الأوليـاء وقـد طلعت الشمس فإذا رأوني من بعيد استقبلوني فأراهم بعين رأسي متمـيزين هـذا بظلـه وهذا لا ظل له. قال رضي الله عنه والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون إليـه

من البرزخ يطيرون طيراً بطيران الروح فإذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض ومشوا على أرجلهم إلى أن يصلوا إلى الديوان تأدباً مع الأحياء وخوفاً منهم. قال وكذا رجال الغيب إذا زار بعضهم بعضاً فإنه يجيء بسير روحه فإذا قرب من موضعه تأدب ومشى مشي ذاته الثقيلة تأدباً وخوفاً. قال وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف ويحضر أيضاً الجن الكمل وهم الروحانيون وهم من وراء الجميع وهم لا يبلغون صفاً كاملاً قال رضي الله عنه وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها" أ.هـ منه بلفظه (الإبريز ص163،164).

الغوث الصوفي هو بمنزلة رب الأرباب عندهم أو كبير المتصوفين في هذا العالم، وهناك عدد كبير جداً من المتصوفة زعم أنه وصل إلى هذه المرحلة (الغوثية أو القطبية والقطبانية الكبرى) منهم الدباغ هذا وكان أمياً جاهلاً لا يحفظ حزباً من القرآن الكريم (وانظر معنى الغوث في فصل الولاية الصوفية) وجعلوا هذا الغوث الذي يدبر العالم من غار حراء جعلوا في خدمته الأقطاب والأوتاد والنجباء وسائر الأولياء بل والملائكة والجن أيضاً.. ولم يقصروا الحضور على الأحياء فقط بل جعلوا الحضور للأموات أيضاً..

زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر الديوان:

ولم يكتف هؤلاء الشياطين بأنفسهم لحضور هذه الخيالات حتى زعموا أيضاً أن الرسول يحضر معهم: قال (أي الدباغ): "وفي بعض الأحيان يحضره النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أحضر عليه السلام جلس في موضع الغوث وجلس الغوث في موضع الوكيل للصف، وإذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم جاءت معه الأنوار التي لا تطاق دائماً وهي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة حتى إننا لو فرضنا أربعين رجلاً بلغوا في الشجاعة مبلغاً لا مزيد عليه ثم فجؤوا بهذه الأنوار فإنهم يصعقون لحينهم إلا أن الله تعالى يرزق أولياءه القوة على تلقيها ومع ذلك فإنه قليل منهم هو الذي يضبط الأمور والتي صدرت في ساعة حضوره صلى الله عليه وسلم. قال وكلامه صلى الله عليه وسلم مع الغوث قال وكذلك الغوث إذا غاب صلى الله عليه وسلم تكون له أنوار الخارقة حتى لا يستطيع أهل الديوان أن يقربوا منه بل يجلسون منه على بعد فالأمر الذي ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات إلا ذات النبي صلى الله عليه وسلم وإذا خرج من عنده صلى الله عليه وسلم فلا تطيقه ذات إلا ذات الغوث ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة ومن الأقطاب السبعة تفرق على أهل الديوان" أ.هـ منه بلفظه (الإبريز ص164).

ساعة انعقاد الديوان:

ويستطرد السلجماسي قائلاً: "وأما ساعة الديوان سبق الكلام عليها وإنها هي الساعة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وإنها هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير التي وردت بها الأحاديث كحديث: ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له... الحديث. قلت ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً..} إلى آخر السورة ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة فإنه يفيق فيها ذكره الشيخ عبدالرحمن الثعالبي رضي الله عنه وقد جربناه ما لا يحصي وجربه غيرنا حتى إنه

وقع لجماعة غير مأمورة أن يقرأوا الآية المذكورة ويطلبوا من الله تعالى الإفاقة في الساعة المذكورة كل منهم يفعل ذلك في خاصة نفسه من غير أن يعلم به صاحبه وإذا أفاقوا أفاقوا جميعاً في وقت واحد" انتهى منه بلفظه (الإبريز ص 164).

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم والديوان:

ويستمر السلجماسي في خيالاته الشيطانية فيقول: "وسألته رضي الله عنه هل يحضر الديوان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وغيرهما من الرسل على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال رضي الله عنه يحضرونه في ليلة واحدة في العام قلت فما هي قال في ليلة القدر فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين وغيرهم ويحضره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ويحضر معه أزواجه الطاهرات وأكابر صحابته الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين" انتهى بلفظه (الإبريز).

قلت يتعجب المسلم كيف تأتي لهؤلاء هذه القدرة على الكذب والبهتان، وكيف قادتهم الشياطين لمثل هذه الافتراءات التي يتضاحك منها الصبيان فضلاً عن العقلاء. فالحمد لله الذي نجانا وهدانا وأخرجنا برحمته من ظلمات هذه الوثنية إلى نور الإسلام والاستظلال بظلال القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة وأبعدها عن تخريفات أهل البهتان.

زعمهم حضور الملائكة للديوان:

ثم يقول السلجماسي "وسمعته رضي الله عنه يقول إن الديوان أولاً كان معموراً بالملائكة ولما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا وفتح الله عليه وصار من أهل الديوان فإنه يجيء إلى موضع مخصوص في الصف الأول أو غيره فيجلس فيه و يصعد الملك الذي في ذلك الوضع وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل ولله الحمد كلما ظهر ولي صعد ملك وأما الملائكة الذين هم باقون فيه يكونون في الصفوف الستة كما سبق فهم ملائكة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا حفاظاً لها في الدنيا ولما كان نور ذاته صلى الله عليه وسلم مفرقاً في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف. قال رضي الله عنه وإذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم في الديوان وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره صلى الله عليه وسلم فما دام النبي صلى الله عليه وسلم في الديوان لا يظهر منهم ملك فإذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم رجع الملائكة إلى مراكزهم والله أعلم" (الإبريز ص174).

ولست أدري لماذا يقول هؤلاء الكذابون بعد كل هذا الدجل والكذب (والله أعلم) ماذا تفيدهم هذه الكلمة العظيمة في هذا الموضع الذي يكذبون فيه على الله. إنهم بزعمهم يتكلمون على حقائق وعلوم وأسرار غيبية زعموا أنهم رأوها وشاهدوها وليست عندهم مجرد ظن أو اجتهاد فلماذا يقولون بعد ذلك والله أعلم وهم يعلمون يقيناً أنهم يكذبون ويفترون، ويضحكون على عقول الدهماء والتي تسير وراءهم وتصدقهم.

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة والحسن والحسين أعضاء في الديوان:

ويستمر السلجماسي في خيالاته الفاجرة فيقول:

"قال رضي الله عنه وإذا حضر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مع غيبة الغوث فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء تارة كلهم وتارة بعضهم رضي الله عنهم أجمعين، قال وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار كما سبق وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن رضي الله عنها وعنهن قال رضي الله عنه وسمعتها رضي الله عنها تصلي على أبيها صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي وهي تقول اللهم صل على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون اللهم صل على من هو إمام الأنبياء والمرسلين اللهم صل على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين وكانت تصلي عليه صلى الله عليه وسلم لكن لا بهذا اللفظ وإنما أنا استخرجت معناه. والله أعلم" انتهى (الإبريز ص168).

لغة أهل الديوان:

ويقول أحمد بن مبارك:

"سمعته رضي الله عنه يقول إن لغة أهل الديوان رضي الله عنهم هي السريانية لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة ولأن الديوان يحضر الأرواح والملائكة والسريانية هي لغتهم ولا يتكلمون العربية إلا إذا حضر النبي صلى الله عليه وسلم أدباً معه" أ.هـ (الإبريز ص168).

ولست أدري لماذا يجمع المتصوفة تقريباً على اختيار اللغة السريانية لغة للديوان، ولمعاني الحروف، وللأذكار فإما للتلبيس على الناس لأنها لغة منقرضة لا توجد إلا في قرية واحدة الآن من قرى سوريا ولا يتكلمها إلا نحو خمسمائة شخص فقط، أو لأن هذه اللغة كانت لغة أقوام اشتهروا بعبادة الجن والأوثان وهذا الذي يبدو فإن هذه اللغة كانت لأقوام وثنيين من عبدة الجن والكواكب وما يزال كثير من هذه القرية التي يتكلم أصحابها بهذه اللغة مهجوراً مسكوناً بالجن.

أولياء يحضرون الديوان بأرواحهم فقط:

ثم يقول السلجماسي: "وسمعته رضي الله عنه يقول إن الصغير من الأولياء يحضر بذاته وأما الكبير فلا تحجير عليه يشير رضي الله عنه إلى أن الصغير إذا حضر غاب عن محله وداره فلا يوجد في بلدته أصلاً لأنه يذهب إليه بذاته. وأما الكبير فإنه يدبر وعلى رأسه فيحضر ولا يغيب عن داره لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور لكمال روحه تدبر له إن شاء ثلاثمائة وست وستون ذاتاً بل سمعت الشيخ رضي الله عنه مرة وأنا معه خارج باب الحبشة أحد أبواب فاس حرسها الله يقول: ايش هو: الديوان والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري وسمعته مرة يقول إنما يقام الديوان في صدري" (الإبريز ص 167).

ولعل الكلمة الأخيرة التي قالها الدباغ هي أصدق ما قال أعني أن الديوان يقام فقط في قلبه المريض وفي عقله المجنون وأما ذكره من غار حراء والأولياء والأنبياء والرسل وسائر هذه التخريفات فلا صحة لها.

الديوان يعقد في صحراء السودان أحياناً:

الصحراء السودانية مكان آخر لانعقاد الديوان يقول السلجماسي: "(وسألته) رضي الله عنه هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء فقال رضي الله

عنه نعم يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير وهذا الموضع يقال له زاوية أَسَا بفتح الهمزة والسين بعدها ألف خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان فيحضر أولياء السودان ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة ويأذن الله تعالى ويسوق أهل آفاق تلك الأراضي ويجتمعون بالوضع المذكور قبل تلك الليلة بيوم أو يومين وبعدها كذلك يجتمع في ذلك السوق من التبر ما لا يحصى فقلت وهل ثم مع آخر في غير هذين الموضعين فقال نعم يجتمعون ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا في الموضعين السابقين لأن الأرض لا تطيقهم لأنه تعالى أراد تفرقهم في الأرض وفي الخلق والله تعالى أعلم" أ.هـ منه بلفظه (الإبريز ص73).

ماذا لو غاب الغوث:

ويقول السلجماسي أيضاً: "وسمعته رضي الله عنه يقول قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضر فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يوجب إختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً فإن غالبهم اختار أمراً وخالف الأقل في ذلك فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون جميعاً وقد اختلفوا ذات يوم في أمر فقال طائفة منهم قليلة إن يكن لكم ذلك الأمر فلتمت فقالت الطائفة الكثيرة فموتوا إن شئتم فماتت الطائفة القليلة قال رضي الله عنه فإن تكافأ الفريقان إن حصل التصرف فيهم معاً فقلت فإنهم أهل بصيرة وكشف فلم يحصل بينهم النزاع وهم يشاهدون مراد الله تعالى ببصيرتهم فقال رضي الله عنه إذا كان الأقل هو المخالف فإن الله يحجبهم عن المراد حتى ينفذ ما فيهم وإذا تكافأ الفريقان فإن مراد الحق سبحانه يخفى على الجميع لأن قلوب الأولياء الأوفياء مظاهر الأقدار وقد اختلفت وتكافأت فقلت فما سبب غيبة الغوث رضي الله عنه عن الديوان فقال رضي الله عنه سببه أحد أمرين إما غيبته في مشاهدة الحق سبحانه فلهذا لا يحضر في الديوان وإما كونه في بداية توليته كما إذا كان بقرب موت الغوث الذي قبله فإنه قد لا يحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئاً فشيئاً قال رضي الله عنه وقد يحضر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في غيبة الغوث فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره صلى الله عليه وسلم ما يخرجهم عن جناسهم حتى إنه لو طال ذلك أياماً لانهدم العوالم" (الإبريز ص168).

الغوث الصوفي دكتاتور كبير:

وأما الغوث هذا فهو أخطر دكتاتور فإن أي أحد لا يستطيع أن يفتح فمه عنده يقول السلجماسي:

"وسألته مرة فقلت: إذا حضر الغوث فهل يقدر أحد على مخالفته فقال رضي الله عنه لا يقدر أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بها فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شيء آخر والله أعلم" (الإبريز ص169).

ولست أدري ما دام هذا هو حال غوثهم مع سائر أوليائهم المزعومين فلماذا الحضور إذن في هذا الديوان هل هو لمجرد تلقي الأوامر فقط..؟!

أولياء ينظرون في اللوح المحفوظ:

ويستطرد السلجماسي مبيناً مراتب الأولياء الذين يحضرون ديوانهم المكذوب فيقول: "وسمعته رضي الله عنه يقول ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء

يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بـل منهم من يقـدر على النظـر فيـه ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجـه إليـه لعلمـه بأنـه ليس من أهل النظر إليه قال رضي الله عنه كالهلال فإن رؤية النـاس إليـه مخالفـة" أ.هـ.

وأقول ألا لعنة الله على من كذب مثل هذا الكـذب الـذي لم تعـرف البشـرية لـه مثيلاً من قبل قط.. ولكن العجيب أن ينشر مثل هذا الفكـر المجنـون عنـد أنـاس يقرأون كتاب الله الذي يقول {قـل لا يعلم من في السـماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون}.

لماذا يجتمع أهل الديوان:

والآن نـأتي إلى بيت القصـيد كمـا يقولـون فلمـاذا يجتمـع أهـل الـديوان؟ يقـول السلجماسي: "وسمعته رضي الله عنـه يقـول أن أهـل الـديوان إذا اجتمعـوا فيـه اتفقوا على ما يكون من ذلـك الـوقت إلى مثلـه من الغـد فهم رضـي اللـه عنهم يتكلمون في قضاء الله عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه قال رضي الله عنـه ولهم التصـوف في العـوالم كلهـا السـفلية والعلويـة وحـتى في الحجب السبعين وحـتى في عـالم الرقـا (بـالراء وتشـديد القـاف) وهـو مـا فـوق الحجب السـبعين فهم الـذين يتصـرفون فيـه وفي أهلـه وفي خـواطرهم ومـا تهمس بـه ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شـيء إلا بـإذن أهـل التصـرف رضـي الله عنهم أجمعين وإذا كان هذا في عالم الرقا الـذي هـو فـوق الحجب السـبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغير من العوالم" (الإبريز ص169)..

فانظر كيف يتحكم هؤلاء بخيالاتهم وكذبهم ليس في الأرض فقـط بـل في الأرض والسـماء ومـا فـوق السـماء من الحجب والعـرش، فمـاذا أبقى هـؤلاء الكـاذبون المارقون لله سـبحانه وتعـالى ليتصـرف فيـه.. تَبَّتْ عقـول استسـاغت مثـل هـذا الكذب واعتقدت مثل هذا الهراء!!

الباب الرابع

الشريعة الصوفية

في الأبواب والفصول السابقة اطلعنا على حقيقة المعتقد الصوفي، وسبرنا غــور هذا الفكر الباطني الذي يتستر بالإسلام. والآن نأتي إلى الشريعة الصوفية ونعني بها العمل الظاهر، والمنهج العملي الـذي سـلكه رجـال التصـوف تضـليلاً للعامـة، ووصولاً إلى العقيدة الباطنيـة، وتظـاهراً بالتمسـك بالإسـلام المـنزل على محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم وسـيعلم القـارئ كيـف أن الظـاهر الصـوفي والشـريعة الخاصة الصوفية لا تكاد تخرج عن البدعة والفسق والكفر والشرك. ولنبدأ بأخص أمـورهم وأشـهرها، الـتي جعلوهـا دائمـاً المـدخل إلى الطريـق الصـوفي ألا وهـو الذكر.

الفصل الأول

الذكر الصوفي

كيفية تتلقى الأذكار عند الصوفية:

يخطئ من يظن أن الصوفية أتباع للرسول صلى الله عليه وسلم في هديه في الذكر حيث شرع لنا صلى الله عليه وسلم أن نذكر الله سبحانه وتعالى بأذكار مخصوصة في أوقات معلومة، والنبي عندما أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من قال كذا وكذا فله كذا وكذا من الأجر إنما يتكلم بالوحي لأن الأجر أمر غيبي يقدره الله ويعلمه، ولكن مشايخ الصوفية أراد كل منهم أن ينصب من نفسه مشرعاً لمجموعة من المريدين، وإلهاً يعبده الأتباع الجاهلون، وكان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للأتباع والمريدين فوضع كل منهم لأتباع طريقته منهجاً خاصاً بالذكر، وأذكاراً مخصوصة وكان لكل واحد منهم أن يضفي على ذكره الخاص هالة من التقديس، وأن يحاول جذب المريدين إليه بشتى الطرق والوسائل فمنهم من زعم أن ذكره الخاص قد أخذه من الرسول مناماً، ومنهم من ادعى أنه أخذه من الرسول يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر الذي أوحى له بالذكر، ومنهم من تنازل فنسب ذكره إلى شيخ طريقة ميت، ومنهم من تنازل عن ذلك فأخبر أتباعه أنه جمع لهم هذا الذكر من آيات القرآن، وأحاديث الرسول وتأليفاته، وأنه مجرب وأن من فعله حصل له كذا وكذا من الخير. فقد فعله فلان فحصل له كذا وكذا، وفعله فلان فحصل له كذا وكذا.. وإليك أنماطاً من هذه الافتراءات والأكاذيب والخزعبلات لا يصدقها إلا من طمست بصائرهم:

الزعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أذكار الطريقة الشاذلية:

علم جميع المسلمين بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد علم الناس كيف يذكرون الله ويحمدونه ويمجدونه، وأن ذلك بوحي من الله له، ولكن الصوفية انفردوا عن جميع المسلمين فزعموا أن الرسول يأتيهم بعد موته صلى الله عليه وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى ليعلمهم الطريقة الشاذلية!! يقول صالح محمد الجعفري الذي كان إماماً لمسجد الأزهر لمدة طويلة (هذه الدعوى بالطبع هي الباب الذي يدخل منه هؤلاء على المسلمين بالخرافات والخزعبلات التي ينسبونها إلى الرسول، ويدعون بها الغيب فما دام أنه رزق عيوناً إلهية فلماذا لا يطلع على الغيب)، في كتابه الذي سماه (مفاتيح كنوز السماوات والأرض المخزونة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة!!).

يقول:

"قال سيدي أحمد رضي الله عنه اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته صلى الله عليه وسلم.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم للخضر عليه السلام: يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثواباً وأكثر عدداً فقال أي شيء هو يا رسول الله؟ فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله فقالها وقلتها بعدهما وكررها صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً.

ثم قال، قل: اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم إلى آخرة الصلاة العظيمية ثم قال له استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب ذو الجلال والإكرام إلى آخر الاستغفار الكبير فقلت بعدهما وقد كسبت أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية (توفي سنة 1979) !!.

ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أحمـد أعطيتـك مفـاتيح السـماوات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمة والاستغفار الكبير المـرة الواحـدة منهـا بقـدر الدنيا والآخرة وما فيها أضعافاً مضاعفة"!! واستطرد قائلاً:

قال سيدي أحمد رضي الله عنه وقدس سره: ثم لقنها لي صلى الله عليه وسـلم من غير وساطة فصرت ألقن المريدين كما لقنني به صلى الله عليه وسلم.

ومرة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إله إلا اللـه محمـد رسـول اللـه في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله خزنتها لك يا أحمد ما سبقك بها أحد علّمها أصحابك يسبقون بها. وكان رضي اللـه عنـه يقـول أملى علي رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم الأحزاب من لفظه حـتى استشـكل بعض أصـحابه من العلماء مرة كلمة في الحزب الخامس فقال يا أخانـا هكـذا قـال لي رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم" (مفتاح كنوز السماوات والأرض المخزونة ص8،9) أ.هـ

فهذه الحكايات التي كان يرويها صالح الجعفري بالسند المتصل حسب زعمه إلى قائلة أحمد الإدريسـي فيهـا من الـدعاوي والضـلالات شـيء كثـير جـداً. من ذلـك اجتماع لأحمد الإدريسي بالرسول والخضر ولسنا ندري ما علاقة الخضر بالرسول صلى اللـه عليـه وسـلم وليس هـو من أتبـاع الرسـول محمـد ولا من هـذه الأمـة الإسلامية أصلاً، إنما الخضر صاحب موسى على شريعة غير شريعة موسى أيضاً، وقد مات كما مات الرسل والأنبياء ممن كانوا قبله وممن أتوا بعده، ولو كان حياً في زمان النبي صلى اللـه عليـه وسـلم لاتبعـه وحـارب معـه وشـهد معـه الجمـع والجماعات وإلا كان مرتداً كافراً، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسـلم [واللـه لو أن موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني] وبدليل نزول عيسـى في آخـر الزمـان وحكمه بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسـلم فمـا علاقـة الخضـر أن يكـون حاضراً مع الرسول وأن يأمره الرسول أن يعلم الأذكـار والأوراد!؟ (اقـرأ الفصـل الخاص بالخضر في عقيدة المتصوفة)، ولماذا يلجأ النبي صلى الله عليه وسـلم – وحاشاه- أن يعلم شيئاً جديداً بعد إتمام رسالته ولحوقـه بربـه. ألا تكفي الأذكـار والأوراد التي علمها في حياته؟ ألم يقل سبحانه وتعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} (المائدة:3).

فما الحاجة بعد إلى أذكار جديدة.. وأليس لـو كـان للرسـول هـذا الاتصـال ببعض النـاس أن يكـون ذلـك لبيـان كيـف يخـرج المسـلمون ممـا يواجهونـه من محن ومصـائب، ألا يـأتي مثلاً الرسـول ليحـل بعض المعضـلات الـتي تجابـه العـالم الإسلامي ويحتار فيها العلماء ويختلفون. ثم لننظـر مـا هي الأوراد والأدعيـة الـتي جاء الرسول في زعمهم ليعلمها لهؤلاء، إنها كلمات ركيكة التركيب العربي، فيهـا جهل عظيم بالله سبحانه وتعالى، وتقول عليه سبحانه وتعالى، وفيهـا اعتـداء في الدعاء بكل معاني الاعتداء، وفيها من أسماء الشياطين ما فيها. وإليكم نماذج من هذه الأدعية التي يزعم أصحابها أنهم اجتمعوا بالرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وعلمهـا لهم. هـذه هي الصـلاة الـتي يسـمونها (الصـلاة العظيميـة)!! هكـذا (والعظيمية!!) وهي:

"اللهم إني أسألك بنور وجـه اللـه العظيم، الـذي ملأ أركـان عـرش اللـه العظيم، وقامت به عـوالم اللـه العظيم، أن تصـلي على مولانـا محمـد ذي القـدر العظيم، وعلى آل نبي الله العظيم، بقدر عظمة ذات اللـه العظيم، في كـل لمحـة ونفس وعدد ما في علم الله العظيم، صلاة دائمة بدوام الله العظيم، تعظيمـاً لحقـك يـا مولانا يا محمد يا ذا الحق العظيم، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلـك، واجمـع بيـني

وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناماً واجعله يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم". أ.هـ..

فانظر إلى ركاكة التعبير، وخطاب الله بالغيبة وهو سوء أدب مع الله فقوله اللهم إني أسألك وهذا خطاب. ثم يقول (بنور وجه الله العظيم) وهذه غيبة كأن الله غير المخاطب، والصواب والبلاغة أن تقول (بنور وجهك العظيم) لأنك تخاطب الله. ولكن الذين ألفوا هذه الأذكار المبتدعة لا يحسنون العربية والعجيب أن ينسبوها بعد ذلك إلى أفصح العرب لساناً والذي آتاه الله جوامع الكلم. وانظر بعد ذلك تكرار اسم العظيم في غير مناسبة، ثم وصف العرش أن له أركاناً ومن أين لهم ذلك؟ ولم يرد هذا في كتاب أو سنة وإنما جاء في الحديث أن للعرش ساقاً كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم [فأجد موسى باطشاً بساق العرش].

ثم ما معنى أن يدعو المسلم ربه ويسأله أن يجمع بينه وبين الرسول كما جمع بين الروح والنفس!! وأن يكون هذا ظاهراً وباطناً، يقظة ومناماً، وأن يكون الرسول روحاً لذات الداعي وهذا كله من أكبر العدوان في الدعاء، وهو فتح باب الإدعاء بعلم الغيب. فما دام أن الرسول قد امتزجت روحه بالمدعو ظاهراً وباطناً، يقظة ومناماً، فمعنى هذا أنه يتكلم بلسان الرسول ويعلم علم الرسول وهذا فتح لباب التقول على الله!!! فهل هذا الدعاء الركيك السقيم معنى ومبنى يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلمه للناس!!..

هذا من أذكار هذه الطريقة الشاذلية وإليك نماذج أخرى من أدعيتها وأذكارها..

"يا خالق السبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن، أشهد أنك على كل شيء قدير، وأنك قد أحطت بكل شيء علماً، أسألك بهذا الأمر الذي هو أصل الموجودات، وإليه المبدأ والمنتهى، وإليه غاية الغايات أن تسخر لنا هذا البحر، بحر الدنيا وما فيه، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لي كل بحر هو لك، وسخر لي كل جبل وسخر لي كل حديد، وسخر لي كل ريح، وسخر لي كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لي نفسي، وسخر لي كل شيء، يا من بيده ملكوت كل شيء، وأيدني بالنصر المبين إنك على كل شيء قدير" أ.هـ (أبو الحسن الشاذلي لعبدالحليم محمود ص375).

وعلى الرغم من أن الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر والإمام الأكبر كما يسمونه أورد هذا الدعاء وغيره في ترجمة الشاذلي مستحسناً له، فإن في هذا الدعاء من التعدي شيئاً عظيماً جداً، فإنه لا يجوز لنا أن نسأل ما جعله الله لأنبيائه من هذه المعجزات فتسخير الجن والشياطين لسليمان كان شيئاً خاصاً بسليمان فقط، ولذلك روى البخاري بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [جاءني عدو الله إبليس بشهاب من نار ليضعه في وجهي ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً بسارية المسجد يلعب به صبيان المدينة]. وأما نار إبراهيم الذي يسأل الشاذلي ربه أن يسخرها له!! فإن الله عز وجل جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم في مناسبة خاصة وذلك بعد أن تعرض لما تعرض له من البلاء، ولم يسأل إبراهيم ربه أصلاً بذلك، وكذلك إلانة الحديد لداود إنما كان لأنه يأكل من عمل يده فكافأه الله بأن ألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع فكان هذا من الله فضلاً له للمناسبة التي فيه.. أما أن يأتي رجل ليس بنبي فيسأل الله جميع معجزات الأنبياء فلا شك أن يكون قد تعدى في الدعاء وقد نهى النبي صلى الله

عليه وسلم عن التعدي في الدعاء والحق أننا إذا قارنا هـذا التعـدي الموجـود في أدعية أخرى لهان الأمر فها هو الشاذلي نفسه يقول في دعائه أيضاً:

"اللهم هب لي من النور الذي رأى به رسولك صـلى اللـه عليـه وسـلم، مـا كـان ويكون، ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه. غنياً بـك عن تجديـدات النظـر لشيء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقـدورات، ومحيطـاً بـذات السر بجميع أنواع الذوات، ومرتباً البدن مع النفس والقلب مع العقل، والروح مع السر والأمر مـع البصـيرة والعقـل الأول الممـد من الـروح الأكـبر المنفصـل عن السر الأعلى" أ.هـ (أبو الحسن الشاذلي لعبدالحليم محمود ص168).

فأي تعد أكبر من هذا أن يدعو إنسان ربـه ليعطيـه نـوراً من النـور الـذي رأى بـه النبي ما كان يكون -وهذا كذب أيضاً لأن الرسول لم يكن يعلم من الغيب ما كـان وما يكون وما لم يكن منه إلا مـا أعلمـه اللـه سـبحانه وتعـالى إيـاه، ولكن هـؤلاء زعموا هذا للنبي صلى الله عليـه وسـلم ورتبـوا على ذلـك أن يجعلهم اللـه أيضـاً كالنبي يعلمون الغيب، وقوله حتى يكون العبد بوصف مولاه- يعني أن يتصف بمـا اتصف به النبي ويكون الوصف راجعاً في النهاية للنبي لا يعفيه هذا أنه يطلب مـا كان للنبي من منزلة وعلم، وصدق الله سبحانه حيث يقول في أمثالهم {بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة} (المدثر:52).

والحق أن الشاذلي في هذا الدعاء قد طلب مـا للـه من علم وليس مـا للرسـول فقط فمولاه هنا راجعـة إلى اللـه سـبحانه فكـل من هـؤلاء يريـد أن يكـون كاللـه سبحانه وتعـالى في علمـه وتصـريفه وقدرتـه. والحـق أنـه لا يتوقـف التعـدي في الدعاء عند الصوفية أن يطلبوا منازل الأنبياء وخصائصـهم وعلـومهم بـل وصـفات الله وخصوصياته، بل وتعدى ذلك أيضاً إلى أن يتطاولوا على اللـه فيعلمـوه كيـف يصفح وكيف يرحم؛ انظر إلى هذا الدعاء للشاذلي أيضاً:

"ولقـد شـكا إليـك يعقـوب فخلصـته من حزنـه ورددت عليـه مـا ذهب من بصـره وجمعت بينه وبين ولده، ولقد نادى نوح من قبـل فنجيتـه من كربـه، ولقـد نـاداك أيوب بعد فكشفت ما به من ضـره، ولقـد نـاداك يـونس فنجيتـه من غمـه، ولقـد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه بعد يأس أهله وكـبر سـنه، ولقـد علمت مـا نـزل بـإبراهيم فأنقذتـه من نـار عـدوه، وأنجيت لوطـاً وأهلـه من العـذاب النـازل بقومه. فها أنذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنـا حقيـق بـه وإن ترحمن كمـا رحمتهم من عظيم إجـرامي فـأنت أولى بـذلك وأحـق من أكـرم بـه فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعـك وأقبـل عليـك بـل هـو مبـذول بالسـبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت الرحيم العلي كيف وقـد أمرتنـا أن نحسـن إلى من أسـاء إلينـا فأنت أولى بذلك منا" (أبو الحسن الشاذلي لعبدالحليم محمود ص191)

فعلى الرغم من أنه دعا الله سبحانه أن ينجيـه كمـا أنجى عبـاده الصـالحين فإنـه تطاول على الله في آخر الدعاء فراح يقول للـه (وليس من الكـرم أن لا تحسـن إلا لمن أحسن إليك)؟! (بل من الكرم أن تحسن إلى من أسـاء إليـك) وكأنـه في هذا يعلم الله سبحانه كيف يتفضل وكيف يحسن وعلى هذا القـول تكـون عقوبـة الله للمسيئين ليست جارية على سنة الله في كرمه وعفوه وصفحه وحلمه وهذا خطأ بالغ لأن الله سبحانه وتعالى لا يضع رحمتـه إلا فيمن يسـتحقها، ولا يعفـو إلا عمن هو أهل للصفح والمغفرة. كما قـال تعـالى: {ورحمـتي وسـعت كـل شـيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون} (الأعراف:156).

وهذا التعدي في الدعاء هو سمة المتصوفة بوجه عام كما مر بك في دعاء البسطامي "ارفعني إلى أحديتك وأدخلني في صمديتك حتى أكون أنت أنا فإذا رآني عبادك عرفوك.." إلى آخر هذا الهذيان والكفر.. والعجيب أن يأتي من يسطر مثل هذا الهراء وينشره على الناس داعياً إياهم إلى هذا الطريق الصوفي طريق الظلمات..

هذه هي نماذج من الأدعية والأذكار التي زعم صالح الجعفري أنها رويت بأنها بإسناده إلى شيخه أحمد بن إدريس أن رسول الله علمها إياه وأن أحد المريدين استشكل لفظة من الحزب الخامس فقال له يا أخانا هكذا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم!!

التلقي من القبور:

وهذه قصة تبين طريقة أخرى لتلقي الأذكار، إنها مخاطبة الموتى والأخذ عنهم حتى لو كان الذكر كلاماً لا معنى له في أي لغة من اللغات المعروفة!!

ذكر أحمد بن المبارك السلجماسي المتوفي سنة 1155هـ قال:

"قص علينا بعض أصحابنا من أخيار أهل تلمسان، فأخبرني أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي (نفعنا الله به)!! فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي نفعنا الله به وعلمه دعاء وهذا هو: بسم الله الخالق، يلجمه بلجام قدرته. أحمى حميثاً أطمى طميثاً وكان الله قوياً عزيزاً. حم عسق حمايتنا كهيعص كفايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (الإبريز) .

"فقال له سيدي إبراهيم: ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شيء فقال له صاحبنا التلمساني وهو الحاج الأبر التاجر الأطهر سيدي عبدالرحمن بن إبراهيم من أولاد إبراهيم القاطنين بتلمسان: إن أخي الحاج محمد بن إبراهيم استشكل معنى هاتين الكلمتين وهما (أحمى حميثاً وأطمى طميثاً) امتنع من هذا الدعاء وقال: لا أدري ما معناها ولعل أن يكون فيهما ما أكره، فسألني عن معنى الكلمتين. فسألت شيخنا رضي الله عنه عن معناهما، فقال رضي الله عنه بديهة لا يتكلم أحد اليوم على وجه الأرض بهاتين الكلمتين فمن أين لك بهما؟!..

فحكيت له الحكاية، فقال رضي الله عنه: نعم سيدي إبراهيم الدسوقي من أكابر الصالحين ومن أهل الفتح الكبير وهو وأمثاله الذين يتكلمون بهاتين الكلمتين. ثم قال رضي الله تعالى عنه: هما كلمتان باللغة السريانية: أما أحمى فمعناه يا مالك الأسرار يا مالك الأنوار يا مالك الليل والنهار يا مالك الحساب المدرار، يا مالك الشموس والأقمار، يا مالك العطا والنفع، يا مالك الخفض والرفع، يا مالك كل حي، يا مالك كل شيء، وفي هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبلغه أبداً..

وأما قوله (أطمى) فهو بمنزلة من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد في ذلك كله وكأنه يقول: يا عالم كل شيء يا قادراً على كل شيء يا مكون كل شيء ويا مدبر كل شيء ويا قاهر كل شيء ويا من لا يتطرق إليه عجز ولا يتوهم في تصرفه نقص..

(وطميثاً) إشارة إلى الأشياء التي يتصرف فيها، وإلى الممكنات التي يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه لا إله إلا هو. وفي هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبداً والله أعلم" (الإبريز).

فانظر كيف أن إسناد هذه القصة مجهول عن مجهول عن ميت وكلمات الذكر لا معنى لها في أي لغة قديمة أو حديثة، وكلمة السريانية هي لا تعني اللغة السريانية البائدة المعروفة وإنما يفسرها الصوفية بأنها لغة الأرواح!! ومع كل هذه الجهالة في الإسناد والحديث عن موتى يعلمون الناس الأذكار من قبورهم إلا أن كل ذلك طرق معتمدة عند الصوفية لتلقي العلم..

ونقول (العلم) هنا تجوزاً والحق أنه تلقى هذه الضلالات من أفواه الشياطين الذين يخاطبونهم من هذه القبور ويلبسون عليهم دينهم ويصرفونهم عن الذكر الطيب الذي نطق به فم الرسول صلى الله عليه وسلم فبدلاً من أن يذكر المسلم الله قائلاً: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وأمثال هذه

الكلمات الطيبات النافعات يقول: (سقفاطيس، سقاطيم، آمون، فاق آدم حم، هأ آمين، كد كد، كردد، ده، بها بهيا بهيا، لمقفتجل يا أرض خُذيهم)!!

والعجيب بعد كل هذا أنهم إذا سئلوا من أين لكم بهذه الخزعبلات التي تسمونها أذكاراً يقولون كما قال أبو الحسن الشاذلي عن نفسه وقد سئل عن شيخه الذي أخذ عنه العلم فقال: "أما فيما مضى فكان سيدي عبدالسلام بن مشيش. وأما الآن فأستقي من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية، أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم" أ.هـ (أبو الحسن الشاذلي لعبدالحليم محمود ص210).

وأما سيده عبدالسلام بن مشيش هذا فهو الذي يقول في صلاته المشهورة عن الرسول: "اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك واقذف بي على الباطل فأدمغه وزج في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول يا أول يا آخر يا ظاهر، يا باطن اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا وانصرني بك لك وأيدني بك لك واجمع بيني وبينك" (الحزب الكبير للدسوقي).

وفي هذا الدعاء من الكفر والهذيان شيء عظيم لا يخفى على من عنده أي إلمام بشيء من علوم الدين قوله (وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة) تصريح واضح لعقيدة ابن مشيش ومن على شاكلته من أهل وحدة الوجود الذين يسمون عقيدة التوحيد أوحالاً!!وأما قوله (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي) فيعني بالحجاب الرسول صلى الله عليه وسلم أي أن صورة الرسول صورة الله كما مضى بيان ذلك في كلام عبدالكريم الجيلي، والعجيب من قول الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر والإمام الأكبر "كان ابن مشيش متمسكاً بالكتاب والسنة عاملاً بها ملتزماً لهما" (أبو الحسن الشاذلي ص21).

وقوله أيضاً عن ابن مشيش "ولتأمل القارئ في مدى انغماس (سيده) سيدنا ابن مشيش في النور وما وصل إليه من الفضل الإلهي".

بل إن الشيخ عبدالحليم محمود يدون في كتابه عن الشاذلي ما هو أدهى وأمر من ذلك وأضل فيقول:

"ولقد بهر ابن مشيش أبا الحسن الشاذلي، بهره بعلمه المشيد على الكتاب والسنة وبهره بولايته وكرامته، يقول أبو الحسن، كما يروي صاحب كتاب درة الأسرار:

ورأيت له خرق عادات كثيرة، فمنها أنني كنت يوماً جالساً بين يديه، وفي حجره ابن له صغير يلاعبه، فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم، قال فقام إلى الولد، ورمى بيده في طوقي وهزني وقال:

(يا أبا الحسن، أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم، إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم)!!

يعني أن سر الله مودع في قلبك.

قال فتبسم الشيخ وقال لي:

جاوبك فلان عني" أ.هـ.

ألا تعجب بعد ذلك من شيخ أكبر جامعة إسلامية معاصرة يروي هذه الترهات ويصدقها ويكتب كتاباً في سلسلة أعلام العرب تحت رقم 72 ليحدثنا أن من أعلام العرب من كان له ابن صغير يلعب في حجره وأن هذا الغلام الصغير علم الذي في نفس ابن مشيش قبل أن يسأل أباه، وأن هذا الطفل أعلم الشيخ أن اسم الله الأعظم هو ابن مشيش!!! مثل هذا الكذب السمج يروي ويدون في كتب وينشر على الناس باسم الدين، وتوضع هذه النماذج الكاذبة المفتراة على الله ورسالاته لأن يكونوا هم أعلام العرب حتى تحذو الناشئة حذوهم وتسير على طريقهم؟!.. اللهم رحمتك بنا ومغفرتك لنا.

والمهم أن نعود الآن فنذكر بما أوردناه في صدر هذا الباب وهو الزعم بأن أوراد الطريقة الشاذلية التي تلقاها ابن إدريس وأخذها عن شيخه قد تعلمها ابن إدريس هذا مشافهة من النبي حال اليقظة لا حال المنام. وقد رأينا نماذج من هذه الأوراد ونماذج الرجال الذين يزعمون أن رسول الله تنزل عليهم، وحضر إليهم ليخصهم بهذه الكرامات وبهذه الأوراد والأذكار، وحرم من ذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة وجاء بعد ستة قرون من الزمان ليعلم هؤلاء أن يقول أحدهم "اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في بحار الوحدة".

ويقول أيضاً:

"بكهيعص كفيت بحمعسق حميت فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اللهم أمنا من كل خوف وهم وغم وكرب كد كد كردد كرده ده ده ده ده الله رب العزة كتب اسمه على كل شيء أعزه خضع كل شيء لعظمة سلطانه اللهم أخضع لي جميع من يراني من الجن والإنس والطير والوحوش والهوام"!!

"طهور بدعق محببة صورة سقفاطيس سقاطيم آحون ق أدُّمَّ حم هأ يا هو يا غوثاه يا من ليس للراجي سواه بما في اللوح من اسم خفي وبالذكر الحكيم وما تلاه وبالقبر الشريف وزائريه وبالقدس العلي وما حواه تقبل ربنا منا دعانا"!!

"ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهم تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً} بها بها بها بهيا بهيا بهيا بهيهات بهيهات بهيهات القديم الأزلي يخضع لي جميع من يراني لمقننجل يا أرض خذيهم قل كونوا حجارة أو حديداً"!!

هذه نماذج من الأدعية التي يزعمون أنهم يتلقونها من الغيب وأن الرسول جاء ليعلمها لهم والحال أن جميعها من وضع الشياطين وتلبيس الأباليس ومن التمويه على العامة والسذج بأن هؤلاء المشايخ عندهم أسرار ويتكلمون بكلام من الغيب العجيب كل العجب أن يجعل أمثال هؤلاء الذين يصرفون الناس عن القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة التي ظاهرها كباطنها أن يجعلوا أئمة للناس يقتدي بهم في هذا الدجل والشعوذة والكذب على الله ورسوله.

فضائل مكذوبة للأذكار الصوفية:

لو كان هؤلاء الصوفية عندما يؤلفون أذكارهم الركيكة التي شاهدنا نماذج منها آنفاً لا يتقولون بذلك على الله وعلى رسوله، ولا يزعمون أنهم كتبوها من الرسول حرفاً حرفاً وكلمة كلمة لهان الخطب وقلنا إن الأمر لا يتعدى البدعة فقد اخترعوا من عند أنفسهم أدعية وأذكاراً يتعبدون الله بها وتركوا ما هو أفضل من ذلك مما علمناه إياه رسول الله وثبت عنه بنقل الصحابة الصادقين والتابعين لهم بإحسان وما دونه أئمة الهدى من المسلمين في كتبهم كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد. ولكن هؤلاء المتصوفة المتقولين على الله لم ينسبوا هذه الأذكار والأدعية إلى أنفسهم وإنما نسبوها إلى الله وإلى الرسول وزعموا أنه جاء بها إليهم الوحي والإلهام أو أملاها الرسول عليهم حال يقظتهم لا حال نومهم. وليتهم إذا فعلوا ذلك أيضاً جعلوا لأذكارهم هذه من الفضل ما كان يذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته للأذكار من الفضل فقالوا مثلاً من قال هذا الذكر كان كمن أعتق عشرة رقاب أو كان كمن أهدى بدنه أو لم يأت يوم القيامة رجل بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل مثله أو زاد، أو بني الله له بيتاً في الجنة على نحو ما كان يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً فضائل الأذكار التي يعلمها لأصحابه، ولكن هؤلاء جعلوا لأذكارهم المفتراة المكذوبة من الفضل والأجر شيئاً لا يبلغه الحد والوصف، وبالغ كل منهم في بيان فضل الذكر الذي يزعم أن رسول الله اختصه وجماعته به مبالغة عظيمة فهذا مثلاً أحمد التجاني رأس الطريقة التجانية يزعم أن (ذكره) الذي يسميه صلاة الفاتح: القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة!!

قال مؤلف جواهر المعاني على حرازم في الجزء الأول صفحة (94) "وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق الخ، فقد سمعت شيخنا يقول: كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيوب وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً، قال إن من ذكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لما رأيت فيها من كثر الفضل ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيحة وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار" انتهى بلفظه (جواهر المعاني ص94)..

فانظر إلى هؤلاء الكاذبين كيف يدعي أحدهم أن كلاماً ركيكاً كصلاة الفاتح التي هي مجرد سطر ونصف سطر أو نحو خمس عشرة كلمة فقط يعدل أجر قراءتها أجر قراءة القرآن ستة آلاف مرة!! وهذا كذب سخيف لا يحتاج إلى تعليق وبيان وهذه الصلاة ذات الفضل المزعوم هي: "اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لم سبق ناصر الحق بالحق والداعي إلى صراطك المستقيم"!!

والعجيب أن هذا الكلام الركيك كله جهالة، فما هو الذي أغلق وفتحه الرسول شيء غير مذكور في هذا الذكر، وما الحق الذي نصره الرسول وبأي حق نصره أيضاً مجهول وما هو الذي سبق وختمه النبي.. فهو كلام ليس فيه لذاته معنى

مفيد، وإنما قد يفسر بنحو صحيح بكلام آخر، وقد يفسر أيضاً على نحو فاسد كما يفسره التجانيون أنفسهم بمعان فاسدة فمثلاً قد يقول قائل إن معنى قولهم (الخاتم لما سبق) أي خاتم النبوة وهذا معنى صحيح وهو غير موجود في هذه الصلاة التي يسمونها صلاة الفاتح. لكن التجانيين أنفسهم يخالفون ذلك ويرون أن النبوة لم تنته بدليل قولهم إن صلاة الفاتح هذه نزلت عليهم من السماء في ورقة مكتوبة بقلم القدرة!! ولذلك قالوا هي من كلام الله تعالى وليست من تأليف مخلوق (انظر الهدية العادية إلى الطريقة التجانية ص105)!!

فمعنى هذا أن قولهم (والخاتم لما سبق) ليس مقصوداً به النبوة والوحي لأن صلاة الفاتح المزعومة نفسها وحي أكمل القرآن بل على قولهم هذا أكمل نزولاً من القرآن لأنها نزلت مكتوبة من السماء والقرآن نزل مشافهة وسماعاً، ومعلوم أن المكتوب أعظم من المسموع في الإثبات بدليل امتنان الله على موسى بإنزال التوراة مكتوبة كما قال تعالى {وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة..} الآية.

وهم يزعمون هنا أن صلاة الفاتح نزلت من السماء مكتوبة ولذا جاز عندهم تفضيل قراءتها على القرآن وإن أجر قراءة القرآن كله ستة آلاف مرة فأي كذب على الله أكبر من هذا. ونحن نقول لهؤلاء الكاذبين أكان يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يزعمون أنه هو الذي خص أحمد التجاني وجماعته بهذه الفضيلة وقال له (خبأتها لك يا أحمد)!! أكان يجوز له أن يخفي شيئاً مثل هذا عن الصحابة رضوان الله عليهم وهم أصحابه القائمون بأمره الحارسون لدينه الباذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرته.. ليعطي مثل هذه الفضيلة إلى أحمد التجاني وأعوانه الذين كانوا وما زالوا أعظم أعوان الاستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا بل في كل القارة الأفريقية وهم الذين مهدوا السبيل أمام الجيوش الفرنسية في معظم أنحاء القارة. أكان يجوز للرسول إخفاء صلاة الفاتح التي يزعمون أنها أعظم من القرآن بستة آلاف مرة لإعطائها مجموعة من خدم الاستعمار والكفار!! والحال أن الله قد قال لرسوله {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} (المائدة:67).

أم أنكم كذبتم على الله ورسوله وجاريتم في كذبكم هذا من قال إن قراءة دلائل الخيرات أفضل من قراءة القرآن سبعة آلاف مرة!! فانظر المجاراة والتنافس في الكذب على الله ورسوله.

ولم يكتف صاحب الفاتح بذكر ما ذكره من الفضل لصلاته المزعومة بل انظروا ما يقوله أيضاً في فضله:

قال صاحب الجواهر في صفحة 96 من الجزء الأول في سياق فضل صلاة الفاتح "إنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة. قال الشيخ وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم فقلت: إنها أكثر منه فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة" أ.هـ.

فانظر كيف جعل هـذه الصـلاة المزعومـة أفضـل من عبـادة جميـع الإنس والجن والملائكة!!

وليست هذه الفرية هي وحدها ما عند أصحاب الطريقة التجانيـة بـل عنـدهم من الدواهي والأكاذيب ما ينـدى لـه الجـبين فعنـدهم صـلاة أخـرى يسـمونها جـوهرة الكمال ونصها:

"اللهم صل وسلم على عين الرحمة الرانية والياقوتية المتحققة الحائطـة بمركـز الفهـوم والمعـاني ونـور الأكـوان المتكونـة الآدمي صـاحب الحـق الربـاني الـبرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكـل متعـرض من البحـور والأواني ونـورك اللامـع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنـة المكـاني اللهم صـل وسـلم على عين الحـق التي تتجلى منها عروش الحقـائق عين المعـارف الأقـوم صـراطك التـام الأسـقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منه إليك إحاطـة النور المطلسم صلى الله عليه وسلم وعلى آله صـلاة تعرفنـا بهـا إيـاه" (الرمـاح ص224 ج1).

وقد قال الدكتور الشيخ تقي الدين الهلال حفظه الله تعقيباً على هذه الصلاة:

"إن هذه الصلاة التي زعم التجانيون أن شيخهم أخذها عن النبي صلى الله عليـه وسلم وذكروا لها ما تقدم من الفضل يستحيل أن تكون من كلام العرب الفصحاء وهي بعيدة منه بعـد السـماء من الأرض، وكـل من يعـرف لسـان العـرب معرفـة حقيقية لا يكاد يصدق أن ذلك الكلام الركيك يقوله أحد من العرب وفيهما كلمتان إحداهما سب لا يجوز أن يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتناسـب مـع ما قبله وهي كلمة (الأسقم) فإن الصـراط لا يوصـف بالسـقم إذ لا يقـال صـراط مريض وهذا الصراط أمـرض من ذلـك وإنمـا يقـال صـراطك المسـتقيم أو قـويم وهذا الصراط أقوم من ذلك".

وقد رد العلماء على التجـانيين وعـابوا عليهم هـذه الكلمـة القبيحـة فقـال الشـيخ الكميل الشنقيطي في أرجوزته التي انتقد بها الطريقة التجانية:

"ولم يجز إطلاق لفظ موهم نقصاً على النبي مثل الأسقم

كذا مطلسم وما يدريكا لعله كفر عني الشريكا

ولم يتفطن أولئك العلماء إلى سبب هذا الخطأ ولو تفطنوا له لانحل الإشكال كله فسببه أن مؤلف هذه الصلاة مغـربي وأهـل المغـرب في لغتهم العاميـة يقولـون (سر مسقم) يريدون امش مستقيماً ويقولون كذلك (سر اسقم) بعضه ينطق بـه قافا وبعضهم ينطق به كافا، ولما كان منشئ هذه الصلاة غير عالم بالعربيـة وقـد ذكر الأقوم من قبله في قوله عين المعارف الأقوم وقال بعدها صراط التام، أراد أن يصف الصراط بالاستقامة مع المحافظة على السجع لمقابلة الأقوم واسـتثقل أن يكرر الأقوم عبر بالأسقم ظناً منه أنهما في المعـنى سـواء كمـا يفهمـه عامـة المغاربة، وقد علمت من مصاحبتي للشيخ أحمد سكيرج وهو من كبـار المقـدمين في الطريقة التجانية وكنت في ذلك الـوقت تجانيـاً لا يخفى عـني سـراً، أن هـذه الصـلاة وجـدت في أول أمرهـا عنـد شـخص يسـمى محمـد بن العـربي النـازي ويسميه التجانيون الواسطة المعظم لأنه بزعمهم وسـاطة بين النـبي صـلى اللـه عليه وسلم وبين الشيخ أحمد التجاني يحمل الرسائل من الشـيخ إلى النـبي ومن النبي إلى الشيخ وفي ذلك الوقت أي في وقت الوساطة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يظهر للشيخ التجاني وإنما كان يظهر لمحمـد بن العـربي وزعمـوا أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال للواسطة محمد بن العربي لـولا محبتـك لحبيـبي التجـاني مـا رأيتـني وكـان الواسـطة يخـبر الشـيخ التجـاني بأنـه إذا جـاء الـوقت الموعود يظهر النبي صلى الله عليه وسلم له بلا واسطة يحدثه ويكلمـه وسـنذكر شيئاً من الرسائل التي أملاها النبي صلى الله عليه وسلم على محمد بن العـربي وأمره بكتابتها ليحملها إلى الشيخ التجاني يقرأها عليه وحينئذ لا يبقى عندك شـك في جهل هذا الرجل بالعربية وأنه سبب ركاكة هذه الصلاة التي هي من إنشــائه" أ.هـ (الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية ص110،111).

والعجيب أنه من ركاكة هذا الدعاء وهذه الصلاة المزعومة ونسـبتها إلى الرسـول صلى الله عليه وسـلم فـإنهم زعمـوا لهـا أيضـاً من الفضـل مـا فـاق الكـذب إلى الوقاحة فقد زعموا كما جاء في كتاب الرماح ص89 أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم ذكر لأحمد التجـاني أن قـراءة المـرة الواحـدة من (جـوهرة الكمـال) تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات ومن قرأها سبع مرات فأكثر بحضرة رسـول اللـه والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها، ومن لازمها أكثر من سـبع مـرات كـل يـوم أحبـه النبي محبة خاصة ولا يموت حتى يكون ولياً!!

فانظر أي تقول على الله هذا. بل قال التجاني أيضاً: "أعطاني رسول الله صــلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمـال كـل من ذكرهـا اثنـتي عشـرة مـرة فكأنمــا زاره في قــبره يعــني في روضــته الشــريفة!! وكأنمــا زار أوليــاء اللــه الصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك. وقال لي رسـول اللـه هـذه هديـة مـني إليك"!!! أ.هـ (الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية ص110).